

# روايات عبير

٦٨٤



## مدرسة الحب



[www.elromancia.com](http://www.elromancia.com)

مر موريه

# روايات عبير



No:486

تدور احداث هذه الرواية حول مادي جوردون الاخصائية الاجتماعية التي ت يريد تعلم السباحة وتسوّقها الاقدار لأن يكون معلم السباحة هو أوليفر لدنن البطل العالمي المشهور . يظهر من خلال احداث الرواية أن مادي تشعر بخوف شديد من السباح . ما السر وراء ذلك ؟ هل هذا السر يرتبط بطفولتها ؟ هل يستطيع أوليفر كشف هذا اللغز ؟

من ناحية أخرى تجمع الطفلة الصغيرة تريزا بين قلبي مادي وأوليفر دون أن يشعر الانسان بذلك . كيف حدث هذا ؟ ما الدور الذي تلعبه هذه الطفلة الصغيرة في الاحداث ؟ ما المشكلة التي تعانيها هذه الطفلة ؟

هل ينجح أوليفر في حلها ؟ ما الدور الذي تلعبه مادي في خضم كل هذه الأحداث المثيرة ؟ كل ذلك يستكشفه - عزيزي القارئ - لدى متابعتك لهذه الرواية الشيقة .

## ثمن النسخة

Canada	55	ج ٣	مصر ٧٥٠	الكويت ٢٠٠٠	لبنان
U.K	1.5	د ١٠	المغرب ١٠	الامارات ٧٥	سوريا
France	15F.F	د ١	ليبيا ١	البحرين ١	الأردن
Greece	1200Drs.	د ١.٥	تونس ١٠	قطر ٥٠	العراق
CYPRUS	1.5 P.	ر ٧٥	اليمن ٦	مسقط ٦	السعودية

## الشخصيات الرئيسية

ـ مادي چوردونـ : فتاة في الخامسة والعشرين من عمرها تعمل إخصائية اجتماعية بإحدى المؤسسات .

ـ أوليفر لندنـ : سباح عالمي مشهور وصاحب محلات لبيع الأدوات الرياضية .

ـ تريزاـ : طفلة صغيرة في السادسة من عمرها .

ـ چوديـ : صديقة مادي .

## الغلاف الامامي

خرج أوليفر من الدرب حينما سمع صرخة مادي . لم يحتج إلا إلى ثانية حتى يحدد موضعها وقرن كامل ليفهم هذه المأساة . رأها من بعيد تقفز في البحيرة .

افتلت الحقيقة من بين يديه وجري بسرعة . إنها تريزا ، لمح من بعيد من تسبح بهدوء وتقلد الحركات التي علمها إياها والتي استوعبتها بسرعة . يلزمها مجهود شاق لتقترب من الشاطئ لكنها لا تبالي .

قال في قرارته نفسه : «فتاة ممتازة وتلميذة جيدة» .

ستة أشهر تنعم فيها بالهدوء .

لكن لا ! تنفست مادي بعمق وعدلت كتفيها وأذرت نظراتها عن سطح الماء وعزمت على التثبت برأيها ولن تنتظر كثيرا . اليوم وإلا فإنها لن تتعلم أبداً . الوقت مناسب تماماً في سن الخامسة والعشرين . كانت منذ سنوات تتعلق بالأمل الجميل في أنها سوف تغلب ذات يوم على الخوف الذي أيقظه داخلها فكرة إلقاء نفسها في الماء . لكنها كانت تؤجل هذا الأمر دائماً إلى اليوم التالي ...

لقد وفر مكتب سبورت لوزير في بلدة سان رامون كل المعلومات الخاصة بدورس السباحة التي يقترحها : دورات للمبتدئين وللسباحين الراغبين في تحسين مستواهم وللمتمرسين العاملين بعمليات الإنقاذ وللراقصين على الماء ودورات مختلطة للأباء والأطفال ودورات خاصة أيضاً للمعوقين . لقد وقعت مادي على إحداها لكن الموقفة الباهية لم تحدد لها أنه لا بد إلا يتجاوز سن المبتدئين أو المبتدئات عن ستة أعوام :

أصابها سطح الماء المترموج الذي كان يضايقها بالدوار مرة أخرى . شعرت بالبرد وهي ترتدي لباس البحر وبحثت عن بعض المساعدة في وجود التلاميذ الآخرين . لم يكن إحساس الارتباك الذي أصابها بالشلل جديداً عليها . منذ فترة شبابها وهي تعاني معرفتها أنها أكبر من صديقاتها . إذا كانت صورتها لم تعد تجذب الأن إلا نظرات الإعجاب فإن خوفها لم يكن خافياً كانت تشعر في داخلها أن الخوف والحزن يملأنها .

لم يجد الارتباط أيضاً على بقية التلاميذ . لم يكن هناك إلا بنات عدّا ولد حزين يمسّ أصبعه ويحملق إلى الأفق أمامه وعيناه تغرقان في الدموع . إذا كان المدرب يصل الآن وينهي هذا الانتظار البغيض ! فجأة

## الفصل الأول

هل هذا حلم ؟ ارتعشت ماري جوردون من الخوف وتساءلت : هل كانت لا تشعر في نومها بأمان تام بـ سان رامون في كاليفورنيا . واستيقظت لتجد نفسها في مملكة الأقزام .

لم يكن هناك أي تفسير آخر فكل المخلوقات الصغيرة التي توجد حولها لا يصل طولها إلى متر واحد . يا للمنظر الذي تراه أمامها إنها تعتبر كبيرة الآن بالنسبة إلى هذه الكائنات الصغيرة . بل يمكن القول : إنها غزالة في مدينة الأقزام !

لكن الوقت لم يتأخر بعد . ما زال يمكنها أن تعود في قرارها . زادت النظرة السريعة - التي القتها على هذه الصالة المشؤومة التي تفوح منها رائحة الكلور - وأيدهت فكرة الهرب لديها . لكنها منحت نفسها مهلة جديدة . لقد اتخذت في بداية السنة قرارها بتعلم السباحة قبل عيد الميلاد . وبما أن شهر يونيو قد بدأ فهذا يعني أنه لا يزال أمامها

قالت دهشة بصوت بدا كانه نعيق :  
 - كيف ؟  
 فتش الرجل في قائمة الأسماء بسرعة وقد نفذ صبره .  
 - لا يوجد اسم أم في تدريسي .  
 - لكن ... أنا ...  
 - إذا كان هناك خطأ في التسجيل فالمكتب مسؤول عن تصحيحه .  
 لكن إذا كنت ترغبين في متابعة تدريب ابنتك فإنه ينبغي أن تسألي عن الدروس المختلطة التي تعقد في الصباح .  
 خفف الرجل عينيه على الطفلة المسماة بساق "مادي" وهذا كلامه ...  
 - أوه ، حسنا ، ... لتر إذا كان يمكنهامواصلة التدريب ...  
 نزل بإحدى ركبتيه على الأرض ومد يده العريضة . تمسكت الصبية بساق "مادي" بقوه .  
 ابتسم الرجل حينذاك . شعرت "مادي" في هذه المرة أيضا أنها تأملت هذا الوجه من قبل وأعجبت بهذه الابتسامة .  
 همس برقه :  
 - إيه ... اسمي "أوليفر" . ما اسمك ؟  
 أحابه صوت واضح :  
 - "تريرزا" .  
 لم تتخيل الطفلة عن مسكنها لساق "مادي" لكن تركز عيناها على اليد المدونة .  
 بعد لحظة من التفكير تقدمت يده وجذبت أسفل الشيرت بحركة ودية .  
 - تبددين عنيدة ... أقسم أنه يمكنك تدبر أمرك بنفسك أيضا مثل الفتنيات الآخريات . لماذا تركت أمك تصطحبك ؟ أتررين أن الآباء

رأت - وقلبها ينبض بقوه - رجلا وسيما جدا يتقدم وهو يترنح مع المنفذ . قالت في قرارة نفسها : آه ! لو كان هذا الرجل هو المسؤول عن دورة السباحة ... .  
 كان مرتدية "تي - شيرت" مكتوبا عليه شعار النادي الرياضي . كانت رقتها تكشف عن أنه رجل رياضي . ياله من شاب وسيم ! كان كل شيء فيه يعكس رجولته ووسامته . كان ممسكا بيده قائمة بأسماء تلاميذ المستقبل .  
 افترق عن رفيقه وهو يقطب حاجبيه بقلق وتوجه نحو مجموعة البنات الصغيرات .  
 بمجرد أن ميزت قسماته دهشت "مادي" حينما اعتقدت أنها رأت هذه الهيئة قبل ذلك . لكن أين امكانها مقابلة هذا الرجل المجهول ؟  
 لم يتح لها الوقت لتسأل نفسها كثيرا . تجمعت الفتنيات الصغيرات - في حركة لا إرادية تعبير عن إدراكهن - حول المرأة كما لو كانت تستطيع حمايتها من هذا الغول المخيف .  
 اقتربت صبية نحيفة ذات شعر أسود منها والتتصقت بها . وضفت "مادي" - بشكل غريزي - يدها الرقيقة على كتف الصبية النحيفة .  
 القت الطفلة نظرة عليها في الحال . نسبت "مادي" خوفها لحظة . مع ابتسامة مطمئنة مدّ يدها ونزلت أصابع مخيفة عليها مشابهة لاصابع حيوان عثر على ملائكة .  
 - متاسف ...  
 وقف المعلم أمام "مادي" . كان واضحا أن وجود فتاة باللغة ضايعة ومن ثم فقد تحكم في نفسه بصعوبة .  
 - إذا أردت حضور التدريب فإنني أطلب منك الانضمام إلى بقية الآباء على المنصة هناك .

يجلسون في المقصورة ؟

ارتفاع صوت البنت الصغيرة :

- إنها ليست أمي .

- إنها اختك إذن ؟

رفع المعلم الذي يجثو على ركبتيه عينيه نحو مادي التي كانت

تتمى أن تبتلئها الأرض وتشعر بالخوف الشديد .

- مربيبة أطفال ؟

- لا ... لست ... اسمى مقيد في قائمتك . يمكنك التحقق من هذا .  
أدعى مادي چوردون .

صمتت المرأة وهي تلهث . إنها لم تشعر قط بمثل هذا الخجل .  
نظرت إليه باضطراب .

استطردت بإحباط :

- اسمى مسجل بالفعل في قائمتك . لم يسألني أحد عن عمري .  
إنني مضطربة حقا ولكن ...

- هل أنت مبتدئة ؟

اخترقتها عيناه الزرقاوان .

قال مصرأ وهو غير مصدق :

- هل أنت مبتدئة حقا ؟ إلا تعرفين السباحة مطلقا ؟

- نعم لا أعرفها أبدا .

قالت متذمرة في قراره نفسها : يا إلهي ! يا لحظي العائز لأن أقابل  
هذا المعلم البغيض .

إذا كان فقط يظهر بعض الرقة والتفاهم ! لكن لا ! لا ينبغي عليها أن  
توقع هذا من إله البحر أو من إله الموج هذا !

لكن مع ذلك لابد من الاعتراف بعقربرته . إنه يجيد التحاور مع

الاطفال وتصرفه مع تيريزا خير دليل على هذا . كان صوته رقينا  
وحركاته مطمئنة ورزينة . لقد وضع أصابعه على كتف الصغيرة ببطء  
يثبت انه معتاد ذلك فقد كان يعرف ان الحركة المبالغة تخيفها .

قال مقررا في النهاية :

- حسنا جدا . سنببدأ الدرس الأول .

نهض واقفا وكان مادي غير موجودة ورص تلاميذه بجانب  
بعضهم البعض على حافة حمام السباحة .

- انظروا إلى جيدا وقدوني . الحركة الأولى ...

رفع أوليفر ذراعيه أعلى رأسه والصق راحه يده امام راحه يده  
الاخري . قلده الأطفال دون مشكلة لكن مادي احست بانها مثيرة  
للضحك تماما .

- حسنا ... هل انتم مستعدون للغوص فيها الاطفال ؟

استدار خمسة ازواج من العيون وامتنلات بالخوف وخافت الانزع .  
اعاد الولد الصغير إيهامه إلى جيده وظهرت الدموع مرة اخري .

قال أوليفر بسعادة :

- حسنا يا اطفال ... لكم الحق في ان تكسروا لانها المرة الاولى التي  
تنزلون فيها الماء . لم تنزلوا قبل ذلك بدون معلم او مرشد . تذكروا  
هذا جيدا !

سننسوي هذه الجزئية الان بعد ان اقدم لكم نفسى . اسمى أوليفر .

عليكم الان ان تقدموا انفسكم واحدا بعد الآخر ...

حصل أوليفر على اسم كل طفل وتعالت الضحكات والقهقهة . كان  
الاطفال قد اعتادوا حركاته الصريحة وال مباشرة . لقد تركت تيريزا هي

الاخري يد مادي لتنضم إلى رفقاءها .

بدت مادي معزولة وصاحت قائلة :

- "أوليفر" ، لو سمحت ...  
- نعم ؟

القى عليها نظرة باردة من أعلى كتفه . كان واضحا انه لم يعجبه تدخلها المفاجئ .

- ماذا ينبغي علي أن أفعل ؟

بعد لحظة مرت كالدهر على هذه التعيسة أبي "أوليفر" ابتسامة رقيقة لم تتوقعها المرأة واضطربت على انفها .

- لماذا لا تحاولين متابعة التدريب مثل الآخرين ؟ حاولي أن تتعلمي أي شيء .

ثم غلف جسم هذه المبتدئة بنظرة تقدير ... نظرة لم يستطع ان يتحكم فيها . توترت المرأة . ثم اختفت الابتسامة واستعاد صوته نفس النبرة الباردة :

- ساصطحبك بعد ساعة إلى المكتب حتى نعلم لك على تدريب يناسب مع عمرك .

استدار الرجل نحو الأطفال :

- اقتربوا مني ... حسنا . اجلسوا على حافة الحمام .

بينما كان الأطفال يقرفصون خلع الشirt الذي كان يرتديه وغاص . عاد نحو تلاميذه بسرعة . بمجرد أن مشى على قدميه أعجبت "مادي" بصدره اللامع بسبب الماء . لكنها لم تستطع ان ترکز نظراتها عليه لأن الدوار كاد يخلع قلبها .

جف حلقها وجلست بجانب بقية التلاميذ .  
شيء ما يشبه قبلة رطبة داعب خدها .

قالت "تريزا" :

- كل شيء على ما يرام . لا أشعر الأن بالخوف . وانت ؟

قالت كاتبة :  
- وانا كذلك .

ارغمت نفسها على ان تبتسم واضافت :

- إذا لم تشعري بالخوف فإني ايضا لم اعد اشعر بالخوف .

سؤال "أوليفر" :

- هل انتم مستعدون لها الأطفال ؟ ستسبحون الأن على بطونكم وتتركون انفسكم لتطفوا على الماء .

طلبت "مادي" بنظراتها المتوجلة ان تستثنى من القيام بهذه الحركة لكنها لم تلق كرد لنظراتها إلا حركة عنيفة من ذقنه . ترددت وفكرت في الانسحاب المخجل ثم نزلت إلى الحمام لما رأت نظرات "تريزا" المعنية بها .

استطرد "أوليفر" :

- حسنا ، تعرفون الأن كيف تدخلون الماء مادمت لم تتعلموا الغطس . لن تصل المياه إلا إلى الخصر لأنكم توجدون في جزء نسميه أرضية السطح . بمجرد ان تبتعدوا عن هذا المكان ستنزل أقدامكم بسرعة . الامر الثاني : لا تبتعدوا عن هذا المكان . اتفقنا ؟

كانت هناك همسات استحسان . لكنه تفحص المياه التي تغطي تقريبا - ركبتي تلميذته البالغة .

- "مادي" فقط هي التي لها الحق في الابتعاد عن حافة حمام السباحة .

ادهشتها النبرة المرحة وغير الخليفة من بعض التسهال . لقد اعتتقدت هي ايضا انها خمنت ومبين مكر في عينيه الزرقاويين .

احست بالاضطراب وعقدت ذراعيها على صدرها وشدت أسنانها لتنمعها من الاصطراك .

صاحت فيها هاجس : إذا تقىات فإنك تستحقين الموت .  
لأن أحد نراعنها وهمس صوت رجل مطمئن في اذنها  
- لا أريد أن أجبرك أو أدفعك . لابد أن تضعي رأسك في الماء لأنك  
عزمت على ذلك من قبل . أتفهمين ؟  
هزت رأسها دون أن تجرؤ على النظر إليه .  
قال برقه :  
- الأمر بسيط ، أؤكد لك . إنني مجرد مساعد معنوي وعليك أن  
تتخذي المبادرة بنفسك . هيا ، مطلوب جهد بسيط ...  
أمالت رأسها . هناك شيء مؤكد : إذا لم تستطع أن تتخذي القرار  
بنفسها في هذه اللحظة فإنها ستغتاف الشجاعة لأن تحاول مرة أخرى .  
إن الاستسلام الذي تعانيه منذ ربع ساعة لن يفيد في أي شيء .  
أخذت نفسها وأغمضت عينيها ودست رأسها تحت سطح الماء .  
يا لها من تجربة قاسية ! لقد خلت أنها القت بنفسها في الفراغ من  
أعلى برج . بدا الوقت طويلا أمامها . ظهرت أخيرا واستعادت  
تنفسها وشهقت وجففت وجهها بحركات شديدة .

قال المعلم ملاحظا :  
- عمل رائع .  
ادركت حينذاك أنه قد ساندتها في الناء التجربة معنويا .  
قال "أوليفر" للتلاميذه :  
- الآن انظروا : لقد غطست مادي رأسها في الماء حتى تبلل  
شعرها . سنقلدها جميعا . عندما أقول : إلى الإمام ستضعون  
رؤوسكم تحت الماء . انتبهوا ، ليس الوجه ... چينفر ، انتظري  
إشارتي ... مستعدون ؟ إلى الإمام !  
كان "أوليفر" واقفا إلى جانبها لأنه - لحسن الحظ - لحقها في

- ساعد حتى ثلاثة وتعودون لوضع أيديكم على حافة الحمام .  
مفهوم ؟ انتبهوا ... واحد ... الثناء ... ثلاثة . حسنا ! فهم الجميع .  
الامر الثالث إذن : احتفظوا بآيديكم دائما على الحافة حتى أطلب منكم  
أن تنزعوها من عليها . واضح هذا ؟  
قالت مادي متذمرة في قراره نفسها : يا إلهي ! يا إلهي ! متى  
سينتهي هذا الكابوس المزعج ! إذا كان فقط يمكنني الانصراف ! .  
أغمضت عينيها في أثناء توسلها . شعرت بالضعف لكنها لم ترد  
أن تتعرف عليه .

- هل تعرفين كيف تختفين نفسك ؟ إذا لم تتعلمي فستدركون انه لا  
يوجد اي شيء سهلا . انتظري جيدا ...  
فتحت مادي عينيها . نفخ "أوليفر" خديه حتى أصبحا قرمزيين  
وقلده الأطفال .

هممت تريزا بصوت منخفض :  
- هيا ، اكتفي نفسك . إذا لم تطيقي الامر فستنفرق جميعا .  
فعلت المرأة ذلك لكنها كانت تترك نفسها للتشم بعض الهواء .  
قال المعلم :

- نحن جميعا مستعدون لتجربة التجربة الكبيرة . ساعد حتى  
ثلاثة . لدى سماحكم ثلاثة اكتفوا أنفاسكم ... ثم ساعد مرة أخرى  
حتى ثلاثة وغضّوا رؤوسكم في الماء . مفهوم ؟ نعم حسناً واحد ...  
اثنان ... ثلاثة !

يارب ساعدني . ارجوك ! لابد أن انجح اليوم . لابد أن انتصر . لابد  
أن اكسب . اليوم . ساعدني يارب ! .  
نفخت خديها وحدقت إلى سطح الماء بخوف لكنها ظلت ساكتة عند  
إصدار الأمر .

قال أوليفر في قراره نفسه : لحسن الحظ ان شيري اخبرت الأطفال انها لم تبلغ التاسعة عشرة من عمرها بعد .

ارتفاع صوت صغير :

- هل هي مريضة ؟

كان هذا هو صوت جينفر اكثرب البنات يقلة . فتح أوليفر فمه ليجيبها لكن شيري سبقته :

- لا مطلقا ، إنها تشعر فقط بدور . هذا يحدث للأشخاص الذين يحملقون إلى سطح الماء . هل يشعر احد بهذا الدوار الآن . لا حسنا . لماذا تبدو الدهشة عليكم إذن ؟ انتبهوا ، تنفسوا واقفزوا في أماكنكم... هيا ...

اعجب أوليفر بعمل المشرفة . خرج من الماء وهو يحمل مادي بين ذراعيه . لم يكن وزن مادي ثقيلا عليه . يا لها الجسد الرائع ... لكنه أبعد نظراته عنها بسرعة ...

قال متذمرا في قراره نفسه : "أوليفر يا احمق . هذه المرأة لديها مشاكل والله وحده يعلم حقيقتها ولا ينبغي عليك ان تتدخل فيها" . توجه نحو المكتب ولم يعد هذا الجسد الساحر هو الذي يطارده لكنه الوجه النحيف والشاحب ذو العينين السوداويين القلقتين والذي ادهشه تعبير القلق البادي عليه . ما اسمها إذن ؟ اه ، نعم ... تريرا .

# # #

قالت مادي لنفسها عندما استعادت وعيها : عجبا ، إنني جافة من الماء .

اللحظة المناسبة التي هبطت فيها تحت الماء . امسكت ذراعاه بجسدها المدهش وهو يحس بالشعر الأشقر والعينين المستديرتين . قال أوليفر في قراره نفسه : انتبه يا أوليفر ليست تلك اللحظة المناسبة لفقد مكانك .

لكن عيناه حملقتا إلى فم المرأة الذي بدا مستعدا لتلقي قبلة . يا للسخرية التي شعر بها حينما احس بذلك التشوّه تتملكه بينما الصبية المتحمسون المتجمعون حوله يبتهمجون بهذا المنظر .

لقد شك في البداية في أن تكون مادي تسعى لمقابلته لأن معجبيه مستعدون لأى خدعة من أجل التقرب إليه . لكن لما اكتشف غضب المرأة أدرك بسرعة أن هذا ليس هدفها . لقد ادهشه هذا الخوف الطفولي من الماء تماما .

- ماذا حدث ؟

أسرعت شيري إحدى المشرفات .

- لقد غشي عليها لكنني اعتقاد أنه مجرد رد فعل عصبي .

- هل يمكنها ان تقف على قدميها إذا ساندتها ؟

ودون ان تنتظر الرد كونت ستارا بجسدها وقالت بخشونة :

- أخبروني يا أطفال عن سمح لكم بالابتعاد عن حافة حمام

السباحة ؟ ألم يأمركم أوليفر بوضع أيديكم عليها ؟

ابتعد الأطفال . أضافت شيري بصوت ضعيف :

- هل يمكنك نقلها حتى المكتب قبل ان يصاب الأطفال بهيستيريا يا أوليفر ؟

لقد حاول - بدون ان ينجح - في إيقاف الناجية من الخطر على قدميها . لكنها لم تقف . حملها مرة أخرى .

المزعج ؟ كانت تعرف كيف تخلص من الأولاد المعجبين أو المحبين ...  
لكن هذا الرجل ينتمي إلى فئة أخرى .

- لا تعتقدين أنه قد يمكنك ان تحدثيني عن مشكلتك ؟  
- مشكلتي ؟

لما كانت غير قادرة على تحمل نظارات الاتهام في عينيه حملت إلى  
جذعه العريض .

قالت مدافعة عن نفسها :

- ليس لدي أي مشاكل . خلاصة الأمر أنني لا أجيد السباحة ولم  
استطع التعلم .

- إنك تمزحين . الاناس الطبيعيون لا يغشى عليهم بمجرد أن  
يضعوا رؤوسهم في الماء .

- الاناس الطبيعيون ؟

اعتدلت مستندة على صرفيها وهي ساخطة ومستعدة للتبرير  
موقفها :

- إنني طبيعية للغاية ! لقد تصرفت جيدا .

أبدى أوليفر تذمراً ليعبر عن ارتياه في كلامها ثم حدق إليها .  
قال مؤيداً بضحكة ساخرة :

- بالفعل ، لقد تصرفت جيدا !

كسا الغضب والاضطراب خدي مادي .

- أقصد ...

رات ومبغض غبطة في عينيه الزرقاويين مما زاد الدفع المفاجي الذي  
اجتاح كل أعضائها .

ابتسم وشعرت مادي فجأة بنبضات قلبها تتزايد . لما رأت  
ابتسامته عرفت من يكون !

فتحت عينيها ولحت سماء معتمة تحولت بالتدريج إلى سطح  
أبيض .

ماذا تفعل في هذا المكان المجهول ؟  
دلت همة بالقرب منها جعلتها تدير رأسها . تحدث أوليفر إلى  
شرف صيني . فللت مادي ساكنة وهي مجيبة في صمت بجسد  
معلمها القوي . كانت ممددة على سرير معسكر في المكتب ومغطاة  
بملاءة . عادت الذاكرة إليها ...  
تعجبت مادي :

- أوه ! يا للهول ! هل فقدت وعيي ؟

أدبر أوليفر رأسه نحوها واقترب . نظرت إليه ببعض الإدراك .  
هل تشعرين بأنك على ما يرام ؟

هل يشعر أوليفر بالضيق حقاً أو القلق ؟ كيف أمكنه أن يكون  
وسيما جداً وقوياً جداً وحساساً ؟ لما شعرت بالخجل من أنه قد يخمن  
أفكارها أغمضت عينيها وتنهدت :

-أمل إلا تكون قد استدعيني الطبيب .  
هز رأسه بالنفي .

- غير مجد فإنه فقدت وعيك . دقة واحدة وهو الوقت المناسب  
لإفساد تدريبي .

لقد تسببت في خوف حقيقي لتلاميذه .  
- يا للمساكين . أنا متاسفة . لم أشك قط في أنني سارى هذا  
العرض .

فتحت عينيها وتوترت لما تلاقت نظراتها مع نظارات عينيه  
الزرقاوين . إذا لم يقطب حاجبيه فقط . أي نوع من الدفاع يمكن أن  
 تستعين به أمام هذا الرجل الذي من الواضح أنه يتاملها مثل الشيء

- نعم .

قالت متذمرة وهي تلني ذراعها على عينيها :

- وانا التي تريد تعلم السباحة فقط ! لا يهم من يمكنه تدريسي حتى لو كان كشافاً صغيراً .

أجابها بجفاء :

- أشك في هذا .

تصاعد الغضب داخلها وكساها الإحباط :

- لماذا وجب أن تكون أنت معلمي يا "أوليفر لندن" ؟! "أوليفر لندن" ،  
خمس ميداليات ذهبية وثلاثة أرقام قياسية ، ليس كذلك ؟

نهشت المرأة من عدوايتها . لماذا هي غاضبة بهذا الشكل ؟ لم تستطع التحكم في هذا الغضب الذي لا مبرر له . جلست فجأة وتلعلمت :

- أدرك مدى الخزي الذي تشعر به من هي في مثل عمري ولا تعرف الوقوف في الماء بـ " كاليفورنيا" ؟

هل لديك أدنى فكرة عن الشجاعة التي لابد أن أبديها لأقرر موافقة التدريب ؟

- أدرك هذا .

تكلم الرجل ببعض الرقة لكنها لم تشعر بها .

- وتراني حينذاك أتدرب مع طبقة الأطفال الصغار و ... وانت تعمل كمعلم ! لا ، لا يمكنني تصديق هذا .

دون أن تدري تحدثت المرأة بنبرة مأساوية وكذلك كان الحال بالنسبة لحركاتها .

كان "أوليفر" جالساً على الأرض في الناء حديثها الطويل منتبها لها وثاركا هذه التلميذة الفريدة تتبوح باحساسها . عندما انتهت من

## الفصل الثاني

كانت هذه الابتسامة كافية ! كانت "ماري" تحلم - دون أن تكون رياضية - مثل كل المراءات بالبطلان الرياضيين .

كان هناك "بوستر" كبير يزين الحجرة التي تتقاسمها مع كرييس خير صديقاتها في ذلك الوقت . . كان "بوستر" يجسد "أوليفر" وهذه الابتسامة الشهيرة على شفتيه .

لكن ليس هذا هو المكان الوحيد الذي يمكنها فيه أن تعجب بهذا الرجل .

همست وهي منهكة :

- "أوليفر" ... إنك "أوليفر لندن" ، ليس كذلك ؟

تعكر وجه البطل وتاسفت "ماري" على ذلك . لقد أحست لحظة بسيطة أنها عثرت على صديق مختلف منذ وقت طويل .

أجابها باختصار :

جافة . مال "أوليفر" وغضى كتفيها بالغطاء ولمسها حينما كان يفعل ذلك .  
قال :

- هذا ليس تفسيرا : يوجد في "إنديانا" حمامات سباحة بالقدر الذي يمكنك من تعلم السباحة . أكرر سؤالي : لماذا لم تتعلم السباحة حتى الآن ؟  
تلashi الدفع الذي بثه الغطاء كفعل السحر وشعرت "مادي" ببرودة .  
- إنني أخاف الماء .

- لماذا تخافين ؟  
- لا ... لا أعلم . إنني دائمًا أخافه .  
- عجبا ! لا يولد الأطفال مع هذا الخوف من الماء . نحن نقضي الأشهر التسعة الأولى في وسط مائي . ما الذي أثار بداخلك هذا الخوف ؟  
دفعت بيدها خصلة سقطت على جبها .  
قالت :

- لا يوجد شيء بعينه . من يدري ؟ قد أكون قد عانيت "رومانيزما" في سنوات شبابي ؟  
ربما أكون قد غرقت لكنني ... لا انذكر هذا .  
كان يعلم أنها كاذبة . لقد قرأ هذا في عينيها . ركز نظراتها لكن هيئتها افهمتها أن الإصرار ليس مجديا . إنها لن تخبره بـ أي شيء آخر .

قال متعرقا على مضمض :  
- حسنا . لكن لابد أن تحاولي تذكر ما حدث فهذا يفيدك لحل المشكلة

كلامها هز رأسه ببطء وقال ملاحظا بسخرية :  
- حسنا ، لقد قابلت في حياتي عددا لا يأس به من الفتيات غير المباليات لكنك هزمتهن جميعهن .  
- لماذا ؟

لكتها فجأة عاودت الهجوم بجرأة شديدة :  
- لكن أولا : ما الذي جعلك تعمل مدربا للسباحة ؟ وفي مثل هذا المكان ؟ كما لو كان ... كما لو كان "بن هير" يعطيوني دروسا في القيادة !  
اضحكت هذه المقارنة "أوليفر" كثيرا لكنه استعاد جديته ليشرح لها :  
- إنني لا أسرخ منك كما يجب عليك إلا تستائي مني إذا ضحكت .  
هذا فقط ...

جلا الرجل صوته وتأهد نظراته بعيدا . كان يبحث عن سبب مقبول لا يتهاجمه .

- إنك محق . لا يدخل ضمن اهتماماتي كالعادة - تعليم السباحة للصغار . سأجري تغييرًا في الأسبوع القادم وأدرب الفتنيات البالغات .  
- أوه ...

هناك شيء غير مفهوم أصابها بالإضطراب وكان هذا - دون شك - لأنها كان يتضرر إليها باهتمام شديد تقربيا وبطريقة مستمرة . أحسست "مادي" بانفاسها المتقطعة .

- سأتولى التدريب من أجل المنافسة وتعلم الإنقاذ في البحر . لكن  
لدي سؤال لك يا "مادي" .  
صمتت المرأة أمام كلامه .

- كيف تقيمين بـ " كاليفورنيا " ولا تعرفين السباحة ؟  
- لأنني وافدة جديدة هنا . إنني أتية من "إنديانا" .  
شعرت "مادي" بالبرد وارتعدت . كانت تود أن تلف نفسها في منشفة

فستان الزواج . وضع قدمه على ذيل القستان ثم قال :

- دققـة واحدة .

فضلت مـادي ان تـتوقف بدلا من ان تـجد نفسـها مرتدـية لـباس الـبحر الضـيق .

- لا تستـسلمـي بـسهـولة ! يـلزمـك ان تستـجـمعـي كل شـجـاعـتك لـتـسـجـلـي اسـمـك وـتـغـطـسـي رـاسـك فـي المـاء . لـاتـجـعـلـينـي اـعـتـقـدـ ان فـشـلـكـ الـيـومـ لـيـسـ له اي اـهـمـيـةـ . لا !

انـتـرـيدـينـ انـاـقـولـ هـذـاـ ؟ لـابـدـ انـتـتـعـلـمـي السـبـاحـةـ . إـنـكـ تـحـتـاجـينـ إـلـىـ هـذـاـ مـنـ النـاـحـيـةـ النـفـسـيـةـ ؟ وـلـيـسـ لـاـنـكـ تـرـغـبـينـ فـقـطـ فـيـ التـخـبـطـ فـيـ المـاءـ اوـ إـنـقـاذـ أـحـدـ مـنـ الغـرـقـ . مـفـهـومـ هـذـاـ ؟

الـقـتـ عـلـيـهـ نـظـرـةـ مـلـيـئـةـ بـالـحـقـ وـلـمـ يـجـبـ . مـاـذاـ يـعـتـبـرـ نـفـسـهـ ؟ هـلـ يـعـتـبـرـ نـفـسـهـ إـخـصـائـيـاـ نـفـسـيـاـ ؟ بـايـ حـقـ يـصـرـ عـلـىـ إـرـغـامـهـ عـلـىـ أـخـذـ حـصـصـ تـدـريـيـةـ ؟ كـانـ يـجـدـ بـهـ أـنـ يـشـعـرـ بـالـرـاحـةـ لـفـكـرـةـ أـنـ لـنـ يـرـاهـاـ حـصـصـ تـدـريـيـةـ .

كـانـ يـجـدـ بـهـ أـنـ يـشـعـرـ بـالـرـاحـةـ لـفـكـرـةـ أـنـ لـنـ يـرـاهـاـ حـصـصـ تـدـريـيـةـ .

ـ حـصـصـ تـدـريـيـةـ .

ـ أـسـمـعـيـ ..

بـماـ اـنـهـ لـمـ يـصـلـ إـلـىـ نـفـسـ الـاسـتـنـتـاجـاتـ مـثـلـهـ فـإـنـهـ سـجـلـ بـضـعـ كلمـاتـ عـلـىـ وـرـقـةـ وـمـدـيـدـهـ إـلـيـهـ بـهـاـ .

ـ هـاـ هـيـ اـرـقـامـ تـلـيـفـونـاتـ اـنـثـيـنـ مـنـ مـشـرـفـيـ حـمـامـ السـبـاحـةـ . إـنـهـمـاـ يـعـطـيـانـ بـرـوـسـاـ خـاصـةـ فـيـ اـلـنـاءـ الصـيفـ . إـنـهـمـاـ غـيـرـ مـتـفـرـغـيـنـ الـآنـ لـكـنـ بـمـجـرـدـ اـنـ تـفـلـقـ المـدـارـسـ وـالـكـلـيـاتـ فـإـنـهـمـاـ سـيـنـتـهـيـانـ مـنـ عـلـمـهـمـاـ . مـاـذاـ لـاـ تـنـصـلـيـنـ بـهـمـاـ ؟ إـنـهـمـاـ قـادـرـانـ أـيـضاـ وـأـسـعـارـهـمـاـ مـعـقـولةـ .

كـماـ تـعـرـفـينـ وـتـحـدـثـيـ عـنـهـ بـمـنـتـهـيـ الـبـسـاطـةـ .

عـضـتـ شـفـتـهـاـ السـفـلـىـ وـفـلـتـ صـامـتـةـ . أـوـهـ ! كـانـتـ تـعـلـمـ أـنـهـ مـحـقـ إـنـهـاـ تـعـرـفـهـ جـيـداـ ! لـكـنـهـاـ لـيـسـ مـنـ يـحـكـونـ عـنـ أـنـفـسـهـمـ اـمـامـ الـغـرـبـاءـ .

هـلـ تـكـشـفـ ضـعـفـهـاـ لـرـجـلـ مـثـلـهـ وـهـوـ نـجـمـ عـالـيـ وـمـوـضـعـ اـحـلـامـ كـثـيرـ مـنـ الـفـتـيـاتـ ؟ أـبـداـ !

نـهـضـ وـاقـفـاـ وـتـنـهـدـ كـمـاـ لـوـ كـانـ قـدـ قـبـلـ هـزـيمـتـهـ .

ـ فـيـ مـلـلـ هـذـهـ الـحـالـةـ سـاـحـاـوـلـ أـنـ أـقـيـدـكـ فـيـ تـدـرـيـبـ يـتـنـاسـبـ مـعـكـ .

أـرـىـ أـنـكـ لـنـ تـشـعـرـ بـأـيـ مـشـكـلـةـ فـيـ صـحـبـةـ الـأـشـخـاصـ الـمـتـنـاغـمـيـنـ مـعـكـ .

اقـرـبـ مـنـ الـمـكـتبـ وـاـطـلـعـ عـلـىـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـأـورـاقـ . أـدـرـكـ مـاديـ أـنـهـ يـمـكـنـهـ التـنـفـسـ بـهـدـوـءـ مـرـةـ أـخـرـيـ لـكـنـهـاـ فـضـلـتـ فـيـ نـفـسـ الـوقـتـ اـنـ

يـبـقـيـ وـاقـفـاـ بـالـقـرـبـ مـنـهـاـ كـمـاـ لـوـ كـانـ اـبـتـعـادـهـ عـنـهـاـ يـنـزـعـ عـنـهـاـ بـعـضـ

الـتـواـزنـ الـذـيـ بـلـهـ فـيـهـاـ . كـانـ هـنـاكـ قـوـةـ شـبـهـ مـغـناـطـيـسـيـةـ تـجـذـبـهـاـ

نـحـوهـ .

ـ كـمـ هوـ غـرـبـ اـنـنـيـ لـاـ أـجـدـ فـصـلـاـ لـلـمـبـتـدـيـنـ الـبـالـغـيـنـ فـيـ هـذـاـ

الـمـوـسـمـ . لـاـ يـوـجـدـ بـالـتـاكـيـدـ طـلـبـاتـ كـافـيـةـ .. حـسـنـاـ ، سـنـفـحـصـ هـذـهـ

الـمـشـكـلـةـ ...

نـظمـ الـأـورـاقـ فـيـ دـرـجـ الـمـكـتبـ وـجـلـسـ وـعـدـ نـرـاعـيـهـ عـلـىـ صـدـرـهـ .

ـ مـاـ رـأـيـكـ فـيـ الدـرـوـسـ الـخـصـوـصـيـةـ ؟

ـ يـاـ إـلـهـيـ ! لـمـ اـفـكـرـ فـيـهـاـ قـطـ . لـاـ اـعـرـفـ إـلـىـ مـنـ اـنـوـجـهـ . اـسـمـعـ...ـ

لـفـتـ الـغـطـاءـ حـولـ كـتـفـيـهـاـ وـاـسـتـطـرـدـ قـائـلـةـ :

ـ لـقـدـ ضـيـعـتـ مـاـ يـكـفـيـ مـنـ وـقـتـكـ . تـلـامـيـدـكـ فـيـ اـنـتـظـارـكـ وـعـلـىـ آيـةـ

حـالـ يـمـكـنـيـ تـدـبـرـ حـالـيـ بـعـفـرـديـ . سـاـنـتـظـرـ حـتـىـ تـبـدـأـ دـوـرـةـ لـلـمـبـتـدـيـنـ

وـتـقـبـلـيـ .

نـهـضـتـ وـهـيـ تـتـحدـثـ وـمـرـتـ اـمـامـ الـمـعـلـمـ وـجـذـبـتـ الـغـطـاءـ خـلـفـهـاـ مـلـلـ

ابتسم وأضاف برقه مقالة :

- لابد ان تتصلني بهما ! هذا ضروري !

رات نادياً أن هذه الابتسامة الرقيقة هي نفس الابتسامة التي ابتسمتها عندما أراد كسر حاجز البرود بينه وبين الطفلة تريزا .

تريزا ! تذكرت وجه الطفلة الصغيرة والقلق البادي على تعبيراتها ... لابد حتماً أن تتحدث بشانها إلى أوليفر . استجمعت شجاعتها وقالت :

- اتفقنا ، سأطريك . هذا وعد لكنني ... لكنني كنت أرغب في محادثتك عن هذه الطفلة .

هل تعرف هذه ؟

- تريزا ؟ نعم ، ماذا تريدين أن تخبريني بشانها ؟ ترددت . ليس من الصعب الآن أن تتحاور مع أوليفر لأنهما يقان على عتبة الصداقة لكن الاعتراف بهذا صعب .

- حسناً ... لماذا تركت تريزا ترتدي الشتي - شيرت في حمام السباحة ؟ النظام ضروري لكن لا داعي لارتداء الشتي - شيرت أو التريكو .

- لاحظت الطريقة التي تتكلر بها في ملبسها الصغير واعتقدت أنه ينبغي عدم الإصرار . لكن لماذا ؟

- لأنني أعتقد في أنه ربما يوجد سبب يدعوها لعدم خلعه .

- أرى هذا ...

فكرة لحظة :

- هل تقصدين أنك رأيت علامات ؟ أو شيئاً لا تريد إظهاره ؟

- أخشى هذا لكن ربما أكون مخطئة وأعمل هذا ... نعم أريد أن أخبرك أنها تبدو خائفة من إظهار ثديات ويعلم الله وحده ما تحاول

إخفاءه .

التزم الصمت لحظة لكن نظراته الحادة لم تبتعد عنها .

- يبدو أنك تعرفت عليها ... هل أنت محللة نفسية او مشرفة اجتماعية ؟

- لا . لكنني أعمل في أغلب الأحيان مع الأطفال . إنني موظفة في الهيئة الاجتماعية التي تهتم بكل شيء خصوصاً المشكلات الأسرية .

أخذت نفساً عميقاً وقالت محددة :

- إن مجال تخصصي في الحقيقة هو عن الأطفال المعذبين .

قال أوليفر وهو يمرر يده على وجهه :

- أوه ! أرى هذا . ماذا تريدينني أن أفعل ؟

أشعرها هذا السؤال بالحرج . لقد قبل الموقف في الحال وبدأ مستعداً لمساعدتها . لكنها أدركت أن كل شيء لديه يثير داخلها رد فعل مباشر للسعادة .

- يكفي أن تعيرها بعض الاهتمام عن بقية الأطفال الآخرين وإذا اكتشفت ما يققها ... فاتصل بي أرجوك . اتفقنا ؟

- حسناً جداً .

لم يكن هناك أي اعتراض أو تردد . بعد هذا الشكر وبعد ثانية من التردد ابتعدت في اتجاه الدش . استدارت في منتصف الطريق . لم يتحرك ونظر إليها نظرات لم تستطع تحليلها .

تكون هضبة مشجرة .

كانت مادي تقطن بمزرعة قديمة كبيرة إلى حد ما وقد تحولت إلى بنسيون عائلي والذي أضيف إليه بعض الشقق الصغيرة المكونة من غرفة واحدة وحمام ويطلق عليها كلمة "استديو" . كانت نوافذ هذه تطل على الشمس ويمكنها النوم بالليل وهي ترى النجوم عندما تفتح مصراع النافذة على نسمة لذيدة .

عندما دفعت الباب تمدد قط سوري كبير على أريكتها .  
قالت مادي برقه :  
- وجد صغير .

جلست على الكرسي وأدارت شريط "الأنسر ماشين" ومررت يدها في جسد دمية كبيرة تمثل تنينا ورديا .

- تشنين - تشنين . هل هناك مكالمات :  
لمع العينان الخضراء واجابها صوت اخش :  
- لا تحاولي خداعي . لقد تصرفت مثل الحمقاء اليوم .  
- افضل عدم التحدث عن هذا ، ارجوك .

القت مادي الدمية بقوة كما لو كانت قد ضايقتها . عن طريق هذه الدمية المتحركة استطاعت مادي التعبير بصوت عال عن افكارها الخافية ... تلك الافكار التي لم تستطع مجابتها اليوم .  
أفرغت الآلة رسائلها .

- الو ؟ ... مادي أردت أن أعرف إذا كنت متفرغة في وجبة الغداء لكن ... أخيرا ، أنا ... باختصار اتصلي بي عندما تتاح لك الفرصة ، اتفقنا ؟

ابتسمت مادي . لقد تعرفت على صوت الفضل صديقاتها "جوبي" التي تشعر بالاضطراب دائمًا أمام جهاز الرد الآلي .

ثم ظهرت رسالة أخرى على الجهاز  
- هنا لاري ... يزعجي أن اطلب منك هذه الخدمة يا مادي لكننا  
نحتاج إليك .

هل يمكننا أن نلتقي في الساعة الثانية في صالة الأطفال ؟ احضرني  
عرائسك يا عزيزتي . لأن الحالة مقلقة . تم استدعاء المشرفات إلى شقة  
وي يوجد ثلاثة أطفال محبوسين في حجرة ... فظيع ! يا لهذا العالم  
البائس !

تأملت مادي الدمية تشنين - تشنين كما لو كان يمكنها أن تساندها  
بردها المشبع ثم مررت يدها في جسمها حتى تمنج الدمية الحياة .

قالت مادي بصوت طبيعي :  
- تعلمين أنني نسيت أن العالم بائس أيضا عندما تقابل بنت مثلي  
سيد البحر وهو أوليغر لندن ... أخيرا لتنوقف عن المزاح ونذهب  
بسرعة للعثور على لاري . هل أنت مستعدة لمنحي الشجاعة في هذه  
التجربة ؟

أجابها الصوت الصناعي :

- هل خذلتك مرة ؟

- لا أبدا يا عزيزتي تشنين - تشنين !

اعادت تنينها العزيز إلى مكانه وطبعت قبلة على راسه الصغير ثم  
اطلقت زففه كبيرة .

اتمني رؤيتها ومقابلتها ! إنك تبالغين حقا . إنني لم أعجب قط برجل رياضي مثله ... إنني أعيش الألعاب الأوليمبية من أجل هذا السبب ! فتحت عينيها وهي سعيدة بهذه الذكرى .

قالت مادي :  
- وهو أيضا .

- ماذا تقصددين به هو أيضا ؟  
- هو أيضا لديه جسم رائع .  
- لكن مرت اثنتا عشرة سنة منذ حصوله على آخر ميدالية ذهبية ومن ثم فقد يكون قد تغير .

قالت مادي وهي تشرب شايها المثلج :  
- بالتأكيد تغير ولكن بشكل آخر .

- ماذا ؟ أحكى لي ! أعطيني التفاصيل ! هل أصبح أصلع ؟ لابد أن التجاعيد غطته من جراء التعرض للشمس ،ليس كذلك ؟ عندما أرى هذا ...

قاطعتها مادي وهي تضحك :

- كلا . إنني لا أتحدث عن التغيير الجسماني . لكن عندما تتذكري صورته فما النقطة التي تجذب انتباحك في رأيك ؟  
- حقيقة ... لا أعلم . قد تكون ابتسامته ! هل ابتسامته ساحرة ؟  
- تلك الابتسامة هي النقطة التي تجذبك في كل مرة ترينها خارجا من الماء ... تلك الابتسامة التي تضيء وجهه ...

- نعم لكنه لا يفقد ما يجعله حزينا . كل هذه الميداليات والشهرة والملايين التي كسبها لا تروق له !  
استطردت مادي برققة :

- إنني أعتقد أن ابتسامته هي ما أحبه فيه بصفة خاصة .

### الفصل الثالث

- مادي أريد أن أعرف ... ما رأيك في هذا ؟  
كانت چودي تسأل مادي عما عثرت عليه بعد أسبوع في مطعمها المفضل .

- إنه ... رائع .

لم تجد مادي أي صفة أخرى مناسبة لأن وانقضت على ساندوتش اللحم المشوي .

- رائع ، هل هذا كل شيء ؟ إنك لا تتحدى عن عامل الجاز أو عامل في بذرينة ؟

- لكن هذا هو الإحساس الذي أشعر به .

كانت مادي تعبر عن ذاتها ببعض التردد . تفرست صديقتها فيها دون أن تخفي استهجانها .

- مادي ، أدركين أن هذا الرجل هو الذي حلمت به في شبابي ؟ كم

هذا . عندما افکر في أبيه مع هذه الوسامه والثروه والنجاح الصارخ  
الذى حققه وعارضه الازيه التي تزوجها ... لا اتذكر اسمها لكنهما  
كانا يشكلان ثنائيا مدهشا .

كانت "مادي" سعيدة لأنها تركت صديقتها تتحدث وهذا ما سمح لها  
بجمع كل هذه المعلومات بخصوص "أوليفر" .

سألتها فجأة وقد جف حلقتها :

- زوجته ؟ لأبد ان التجربة كانت قاسية عليها .  
قطبـت "جودي" حاجبيها وتأملت طبقها .

- اعتقد انتي اتذكر شيئا بخصوصها ... يبدو لي ان فقدان هذا  
الطفل دمر الاسرة ، لكنني لست متاكدة من هذا ... اختلفي "أوليفر" من  
الساحة في هذه الاونة انا متناسفة يا "مادي" ، اعتقد انتي افسدت  
وجبة الغداء اليـس كذلك ؟

اجابتـها "مادي" برقـة مصطفـعة :

- كلا ، على الإطلاق . إنـي سعيدـة لأنـك حدـثـتـي عنـه فـهـذـا يـفـسـرـ لي  
امورـا كـثـيرـة ...

نهضـتـ الانـتـانـ وـتـوـجـهـتـ نحوـ بـابـ الـخـرـوـجـ .

- اعتـقـدـينـ انـكـ سـتـرـيـنـهـ مـرـةـ أـخـرىـ ؟

اجـبـتهاـ "مـادـيـ" وـهـيـ تـهـزـ رـاسـهـاـ :

- لا ، لا اعتـقـدـ .

- ولمـ لاـ ؟

اكتـفـتـ صـدـيقـتهاـ بـالـابـتسـامـةـ وـهـيـ تـهـزـ كـتـفيـهاـ بـطـرـيـقـةـ غـامـضـةـ . إنـهاـ  
لمـ تـكـنـ تـنـوـيـ مـطـلـقاـ انـ تـعـرـفـ لـصـدـيقـتهاـ بـانـهاـ لاـ تـرـغـبـ فيـ روـيـةـ  
"أـوليـفـ لـندـنـ" لـأنـ هـذـاـ لـيـحـدـثـ إـلـاـ فيـ حـمـامـ السـبـاحـةـ .

بعد مرور عـدـةـ دقـائقـ عـادـتـ إـلـىـ مـنـزـلـهـ وـقـبـلـ انـ تـسـمـعـ إـلـىـ جـهـازـ

مـدرـسـةـ الـحـبـ

- هذا لا يدهشـنـيـ ياـ عـزـيزـتـيـ "مـادـيـ" مـاـدـامـتـ تعـجـبـ . وـمـاـذاـ إـذـنـ ؟  
هلـ فـقـدـ كـلـ أـسـنـانـهـ ؟

طرـحـتـ "جـودـيـ" هـذـاـ السـؤـالـ وـالـخـوفـ يـبـدوـ عـلـيـهاـ . طـمـانـتـهاـ "مـادـيـ"  
فيـ الـحـالـ :

- أـسـنـانـهـ ... كـامـلـةـ لـكـ يـبـدوـ أـنـهـ فـقـدـ هـذـهـ الـابـتسـامـةـ ...  
ثمـ أـضـافـتـ فـجـاءـ :

- اعتـقـدـ أـيـضاـ أـنـ هـنـاكـ شـيـئـاـ مـاـ يـجـعـلـهـ يـتـخلـىـ عـنـ هـذـهـ الـابـتسـامـةـ  
أـحـيـاناـ . يـبـدوـ لـيـ هـذـاـ طـبـيعـيـاـ وـخـصـوصـاـ أـنـ أـضـواءـ الشـهـرـ لمـ تـعـدـ  
مـسـلـطـةـ عـلـيـهـ . إـنـهـ لـاـ يـبـتـسـمـ إـلـاـ عـنـدـمـاـ يـرـغـبـ فـيـ ذـلـكـ .

صـاحـبـتـ "جـودـيـ" فـجـاءـ وـهـيـ تـحـمـلـ يـدـهاـ إـلـىـ فـمـهاـ :

- أـوهـ ! يـاـ إـلـهـيـ ! كـنـتـ قـدـ نـسـيـتـ هـذـاـ لـحـظـةـ ! يـاـ لـلـهـوـلـ الـذـيـ اـشـعـرـ بـهـ  
عـنـدـمـاـ اـفـكـرـ فـيـ أـنـهـ يـعـطـيـ درـوـسـاـ لـلـاطـفـالـ فـيـ السـبـاحـةـ... يـاـ لـهـاـ منـ  
شـجـاعـةـ !

- مـاـذـاـ تـقـصـدـيـ ؟ إـلـيـ أـيـ شـيـءـ تـلـمـحـيـ ؟

- إـلـاـ تـنـذـكـرـيـنـ إـذـنـ هـذـهـ الـلـاسـاـةـ المـفـجـعـةـ ؟ مـنـذـ عـدـةـ سـنـوـاتـ...، لـكـنـ  
كـيـفـ أـمـكـنـكـ أـنـ تـنـسـيـ هـذـهـ الـحـادـثـةـ الـمـزـعـجـةـ ؟  
انتـظـرتـ "مـادـيـ" بـقـيـةـ الـقـصـةـ بـقـلـقـ . مـاـلـتـ "جـودـيـ" عـلـىـ أـعـلـىـ الـمـنـضـدةـ  
وـأـمـسـكـتـ يـدـهاـ .

- "مـادـيـ" ، لـقـدـ فـقـدـ طـفـلـهـ . طـفـلـهـ الـوـحـيدـ . اعتـقـدـ أـنـهـ كـانـ وـلـدـاـ صـغـيرـاـ  
فـيـ الـخـامـسـةـ مـنـ عـمـرـهـ تـقـرـيـباـ .

نزلـ الـخـبـرـ عـلـىـ "مـادـيـ" بـمـثـابـةـ الـكـلـمـةـ الـقوـيـةـ الـتـيـ تـلـقـنـتـهاـ فـيـ مـعـدـتـهاـ .

- أـنـاـ ... هـذـاـ مـزـعـجـ ! كـيـفـ حـدـثـ هـذـاـ ؟ تـرـكـتـ عـيـنـاـ "جـودـيـ" عـلـيـهـ .

- لـاـ يـمـكـنـكـ أـنـ أـصـدـقـ أـنـكـ لـاـ تـنـذـكـرـيـنـهاـ أـبـداـ . لـقـدـ غـرـقـ الطـفـلـ .  
حـادـثـةـ غـرـيـبـةـ لـأـنـهـ تـلـمـعـ السـبـاحـةـ مـنـذـ صـغـرـهـ كـمـاـ يـمـكـنـكـ أـنـ تـنـخـيلـيـ

ملائتها الوحيد يكمن في التحاور مع تشنين - تشنين . دميتها المفضلة .  
فضلا عن هذا القلق الذي يكون ركنا أساسيا في شخصيتها طافت  
بذهنها الذكرى المؤلمة للصغيرة تريزا ذات العينين المؤلمتين ثم ملأتها  
الصورة المخزية لـ أوليفر - وهو يغطيها - باضطراب شنيع .  
لماذا استدعاهما ؟ لقد استدعاهما دون شك لأنه قلق بشان موضوع  
تريزا .

فرضت عليها غريزة قوية هذا الرد لأن هذا هو المنطق الوحيد الذي  
يمكن قبوله . لكن قلبها انقبض وربما سيكتفي بآن يدلها على تدريب  
البالغين في الدروس القادمة لتعلم السباحة .

لحت مادي قبل أن تفتح باب السيارة تريزا . كانت نحيفة  
وضعيفة جدا في منشفة الحمام التي تضعها على كتفها وهي تنزل  
السلم بخطوات حريصة . انقبض قلب مادي لما تأملت الطفلة .  
اعتقدت أن تريزا عرفتها وتوجهت نحوها لكنها كانت مخطئة . دوى  
صوت عنيف - لرجل نافذ الصبر قادم من سيارة مجاورة - في  
أذنيها .

- بسرعة ايتها الحمقاء ! أسرعني !

رفعت تريزا وجهها الصغير وفتحت مادي عينيها بخوف . كان  
خدتها متورما وتحمل شفتاها علامات لجرح لم يزل موجودا .  
لم تستطع مادي - الدهشة - التدخل ورات الطفلة تدس نفسها في  
السيارة . كان يوجد مكان السائق رجل أسمر ذو شعر مجعد وشارب .  
انطلقت السيارة مسرعة .

- ما رايك إذن ؟

خفض أوليفر راسه نحوها وقد كانت لا تزال جالسة في مكانها .  
ارتجمت وتعلمت :

الرد الآلي الانسرماثين أمسكت تشنين - تشنين . إنها لم تشعر  
بالحزن لكن ... بالاكتئاب .

قالت چودي :

- يا للخسارة ! إن مزاجك لا يتوافق مع قدرك !  
- وأنت كذلك .

تنهدت چودي وهي تنظر إلى شكلها :

- أعلم هذا . لا يوجد عدالة . إذا كان لدى جمالك فإنني كنت  
سأصبح ممثلة مشهورة أو أتزوج أميرا .  
- ماذا تقولين ؟ تتزوجين أميرا !

قالت چودي متذمرة :

- اووه ! هذا صحيح ويثبت أن الجمال وحده لا يكفي .  
همست مادي التي تحملق إلى دميتها :  
- لا ، بالفعل فالجمال لا يكفي . أوليفر على سبيل المثال ...  
ظل التنين الدمية بلا صوت . تنهدت مادي وشغلت جهاز الرد  
الآلي .

بعد عدة ثوان هرولت الفتاة مسرعة وترك تشنين - تشنين جانبها .  
قادت سيارتها حتى مكان انتظار السيارات في سان رامون . كانت  
رسالة أوليفر موجزة : هل يمكنك الذهاب إلى حمام السباحة قبل  
الساعة السادسة ؟ أريدك أن تساعديني .

لماذا قفز قلبها في صدرها لدى سماعها صوته ؟ لما ركنت سيارتها  
 أمام حمام السباحة أحسست بالقلق يجتاحها . في المرة الأخيرة التي  
سلكت فيها هذا الطريق كانت تموت من الخوف لكن الظروف اختلفت  
اليوم .

في خلال الأيام السابقة لم تتوقف عن تعذيب نفسها بلا سبب . كان

- كيف ؟ لماذا تريدين الا اهتم بهذا ؟ كنت اود خنق جلال الأطفال  
ببدي هاتين ، هذا كل ما في الامر .

- ستدش إذا علمت إلى أي مدى يفضل الناس البقاء بعيدا عن  
مثل هذه المأساة .

دخل إلى المكتب وأمسكت مادي التليفون وهي تجلس . تفرس  
فيها بحدة .

قالت مفسرة بصوت هادئ .

- اعلم أنه ينبغي علي الاتصال .

طلبت رقم التليفون . مرر أوليفر يده بعصبية في شعره من جراء  
هذه المبادرة الخارجة عن إرادته .

قالت :

- هنا مركز الأسر المحتاجة . اود التحدث إلى الدكتور لاري ويتالو  
من فضلك .

خطا أوليفر خطوتين إلى الإمام واربعا إلى الوراء ثم سار في  
غضب متزايد ثم دلف إلى حجرة الثياب المخصصة للرجال . أخذ دشا  
وغير ملابسه وحاول أن يصف شعره . لما هدا قليلا عاد إلى مكتبه .  
كانت مادي جالسة في أحد جوانب المائدة في انتظاره . كانت تبدو  
مثل ملكة السحابة في فستانها الأبيض الجميل وزاد من هذا  
الانطباع وجهها الجميل . غير معقول ! منذ ثمانية أيام كانت تبدو  
مثل الفتاة الجذابة واليوم تبدو مثل جراس كيلي . من هي في  
الحقيقة ؟ ولماذا سعى إلى معرفة هذا ؟

- ماذا حدث ؟

سألها أوليفر هذا السؤال وهو يضع يديه في جيبه بنطلونه .

- ستدرس جمعية حماية الطفولة الملف بعناية وستحاول مؤسسة

- إنه ... كيف أدركت هذا ؟

نظرت مادي أمامها مباشرة لتتجنب العينين الزرقاويين لمحثتها .  
قال مفسرا :

- لدى خيال واسع ولم أكف منذ حوارنا في ذلك اليوم عن توجيه  
الأسئلة لنفسي بخصوص هذه الطفلة . هيا ، تعالي لتناقش  
بالداخل .

قررت مادي رفع عينيها وخلت مضطربة . لديها من الخبرة منذ  
وقت طويل بهذه المassy الفظيعة . كان ينبغي عليها في أغلب الأحيان  
أن تهتم بالأطفال المشردين . لكن هو ، لا !

نهضت دون أن تنبس ببنت شفة وتبعته .

\* \* \*

احس أوليفر بالغضب يحتاجه وهو يتقدم بخطى واسعة . كيف  
يحمي هذه الطفلة المسكونة الخشنة ؟ إن مشهد وجه هذه الطفلة  
الصغيرة غير محتمل .

سألها بخشونة :

- هل يمكنك التدخل ؟

احس أوليفر بالذنب وهو يلاحظ تعاطفها معه ومحاولتها  
مساعدة دون أن تتضايق من خشونته . هل خمنت انه يود ضرب اي  
احد - لا يهم من - حتى يهدأ ؟

قالت برقة :

- إذا كنت ترغب في ذلك فساكتب تقريرا ولن يسجل اسمك فيه .

قال متعجبًا :

- ما رأيك في قدر قهوة ؟ أحتاج إلى مشروب واود أن اتناقش معك  
كثيرا ... هل يناسبك صالون الشاي ؟

عضرت شفتها السفلی وهذا ما جعلها تشبه مارلين مونزرو أكثر من جراس كيلي وترددت لحظة ثم قالت:

- ما رأيك في تناوله بمتنزلي ؟
- أدهشه اقتراحها لكنه لم يظهر أي اعتراض .
- فكرة حديدة ، أنا تحت أمرك .

لم يكف أوليفر طوال سيرهما عن التساؤل عن الشخصية الحقيقية لهذه الخلقة الغريبة الجذابة والمحيرة مثل الطفلة الصغيرة البتيمة. قال في قرارة نفسه : "ما فائدة هذا ؟ ما يهم هو مصير الصغيرة تريزا".

- يا إلهي ! نحن موجودون عند معرض "بينوتشو" !  
كان موجوداً حوله على الأرائك دمى كثيرة من كافة الأنواع وقد بدا  
أنها تلاحمت من كل جانب ما عدا بعض الدمى المعلقة في السقف  
بواسطة خيوط وليس لديها سبقان .

- يا إلهي ! هناك نمية واحدة حية !  
اختفت عينان رماديتان وساحتلستان خلف جفون رمادية ثم ظهرتا  
مرة أخرى بينما تدل لسان وردي على الشفتين .

تعجبت مادي بسعادة :  
- أيها الخبيث الصغير اتريد النزول من مجتمك ؟  
هل هي ساحرة ؟ قرر "أوليفر" لحظة الا يترك اي شيء للمصادفة ومد  
ذراعيه حتى يمسك القط المتکور بين الدمعي . أخذ "کوري" يموج بصوت  
عال ثم تملكته مدا "أوليفر" :

العونـة الـاجـتمـاعـية الـاتـصال بـالـأـسـرـة حـتـى ..  
صـاحـ غـاضـبـاـ :

- الاسرة ! كيف سيكون حال المسكينة في أثناء ذلك الوقت ؟ لابد من معرفة الوحش الذي تجرا على ضرب الطفلة هكذا . وسحبها فورا من هذا الوسط المخيف .

- هذا ممكن إذا كانت الظروف مواتية لاستقبال الطفلة في مسكن خاص . لكن الانفصال التام لا ينصح به إلا في الحالات البائسة .

- هل ينبغي الانتظار حتى تموت ومن ثم ينبغي التدخل ؟  
- أوليفير ...

وأصلت حديثها بثقة بعد أن جلت صوتها

- ... على الرغم من سوء معاملة الأهل فإن هؤلاء الأطفال يحبون أباءهم رغم قسوتهم . الانقطاع عن عالم الأسرة ... أو هذا يسبب لهم صدمة أخرى . نحن نريد المساعدة وليس الهدم.

أخذ نفسا عميقا وحدق إلى السطح بإحباط ثم تنهد طويلا :  
- عفوا . هذا هو ...

**نهضت واقفة ووضعت يدها على ذراعه :**  
- هذا هو كل ما يمكنك فعله . لا تحزن واعذر بان يتصرف  
**الأشخاص الأكفاء على نحو افضل .**

على نحو أفضل؟ تتساءل: هل يكفي هذا أم لا؟ أدرك فجأة أنّ "مادي" تتجه نحو النّاب.

اعترض وهو يلحقها :

- إيه : هل أنت متفرغة الآن ؟

**تعلمت المرأة ودهشت من موقفها :**

- ٢ -

قالت مادي :

- حسنا ! إنك أول شخص يفعل هذا .

كانت مادي واقفة بالقرب من المنضدة التي تحمل جهاز الانسر ماشين . كان سطح المائدة مزدحما أيضا بالعرايس من الدمى وبعض الأذرع والسيقان المخلوقة .

أمسك أوليفر الدمية تشين - تشين ولفترط دهشته رأى التنين ينفر بشدة ثم جفف أنفه بذيله .

قالت مادي :

- تشين - تشين الا تمني يوما سعيدا لزائرنا ؟  
ابتسمت الدمية من أعلى رأسها الوردي ولعلت عيناهما من المكر .  
صاح صوت مهذب :

- أهلا .

زالت دهشة أوليفر وحك راس الدمية كما لو كانت حيوانا حقيقيا  
وسمع صوت مواء في الحال .

قالت مادي بدھشة :

- يا للمفاجأة ! لديك موهبة تطويق التنين والقطط والأطفال . هل  
تملك قوة سحرية ؟

لم يجبها ونظر في عيني مادي واستمر في مداعبة التنين الذي رد  
عليه باهات السعادة وهو يكور نفسه في يد أوليفر .

همس التنين بصوت جنية البحر :

- أهلا يا عزيزي .

بدت مادي نفسها متحبزة .

- عجبا ! لم تخبريني قط إنك بنت !  
توره خدا مادي مثل خدي دميتها .

- ٤٠ -

قالت تشين - تشين ملاحظة :

- لم تساليني عن ذلك قط يا عزيزتي .

قهقهه أوليفر :

- انت مدهشة ... رائعة مع عرائسك .

تدخلت الجنية :

- ربما لكنني أكون أفضل عندما أريد ذلك !

قالت مادي بصوت فاضح :

- أوه !

ضحك أوليفر لكنه شعر بالإحباط . كانت مادي مدهشة حقا مع  
تنينها . كان يعرف أنها تفعل ذلك عن عمد حتى لو بدا أنها تتصرف  
وكان الأحداث لا تعنيها . إنها تستخدم دميتها تشين - تشين لتحتفظ  
بمسافة بينهما .

اصابه الإحساس بالاضطراب . إنه لم يشعر بمثل هذا الإحساس  
منذ وقت طويل . أدرك حينذاك أنه يموت رغبة في لبس هذا التنين  
الوسيلط بيته وبينها .

الحمد لله لوجود هذا التنين الذي يفصل بينهما .

- إيه ... أتريد الجلوس ؟ أنا ... ساعد قليلا من القهوة إن لم تكن  
تفضل شايا مثلجا ؟

تساءلت مادي : أليس في احتياج إلى مشروب مقو بعد الصدمة  
التي تسببت فيها رؤيتها لخدمات تريزا .

سال أوليفر وهو يبتسم :

- هل يمكنني تناول كوب لبن لو سمحتم ؟  
- بالتأكيد ... بالتأكيد ...

وجهت نظراتها - بلا اكتراش - إلى عنق أوليفر ثم إلى قميصه  
الذي يظهر جذعه .  
خمنت القوة العضلية لـ أوليفر .

قالت في قرارها نفسها : يا للعجب ! بالتأكيد أن أوليفر لدنن رجل  
وسيم لكنه ليس ملاكا أو رجلا مدهشا إنه مجرد رجل عادي ... فلماذا  
إذن تتزايد ضربات قلبها .

ذهبت إلى المطبخ وفتحت الثلاجة وامسكت علبة اللبن بقوة وملأت  
كوبا وأغلقت الباب بقوة . ثم عادت إلى الصالون .

كان أوليفر يقوم بجولة فيه ويتفحص كل دمية من الدمى بعناية .  
سألها مستفهما :

- هل هذا عشق حقيقي لديك ؟

كانت عيناه في الركن المظلم ولم تستطع أن تخمن تعبراته لكنها  
كانت مدركة لوجوده الجسماني .

- إنه أكثر من عشق : إنه وسيلة مهنية .

- حقا ؟

امسكت دمية ذات خدين ورددين وبها شريط عريض على جبهتها .  
- لماذا هذه اللصقة ؟

## الفصل الرابع

ميرت مادي وميسا غريبا في عيني أوليفر . هل يشنط بهذا  
الوميض بعيدا ؟ لم نتوصل الفتاة إلى فهم السبب الذي دفعها إلى  
استخدام تشين - تشين كوسسيط في مزاجها هكذا . من كان يظن أنها  
قادرة على هذا ؟

إنه ليس خطأها ، ولكن خطأ هذه الدمية الملعونة التي تتخذ دائما  
المبادرة المبالغة .

استدارت نحو الدمية بغضب والقت عليها نظرة مليئة بالعتاب .  
وضعتها مادي على فمها .

احسست مادي في اللحظة التي تخلت فيها عن استخدام دميتها  
كوسسيط أنها مجردة وبلا خط دفاع . اتخاذ وجود أوليفر في هذه  
الشقة أهمية متفاوتة . لما ادركت أنها تحك يديها بسبب عصبيتها  
قالت متعثمة :

- أوه ! أوه !  
لما القت نظرة سريعة على ضيفها اعتقدت "مادي" أنها شلت بعيداً.  
لكن سلوك الكلب كان يعبر عن بعض السعادة . تخلص "أوليفر"  
بحركة رشيقه من دميته وخطف "ديدي" من ذراع المرأة ووضع يديه على  
كتفي هذه الأخيرة وطبع قبلة خفيفة على شفتيها .

قال بعد ذلك بشغف :

- أفضل هذه .

تركها وذهب ليجلس على الأريكة . بينما كان يمسك كوب اللبن  
سالها قائلاً :

- والآن ماذا سيحدث ؟

- سيحدث ... بالنسبة لـ "تريرزا" ؟

- بالتأكيد لأنني أعلم ما سيحدث بالنسبة لنا .  
انتقض جسد المرأة بشدة حاولت - عبثاً - أن تفرغ شحنتها مع أي  
دمية ولكنها لم تجد أي واحدة قريبة منها وقررت أن تتحدث:

- حسنا ... سيدذهب في البداية موظف حكومي وممرضة إلى  
الأسرة لتفهم الموقف ثم يكتبان تقريراً ...

كان "أوليفر" ينصلت إليها باهتمام ثم قاطعها ليبالها :  
- والطفلة ؟ إذا لم تخرجها من بيئتها الأسرية في الحال فإنه من  
الواضح أنها ستتعامل بخشونة !

كان لابد على "مادي" أن توضح له بصير أن الطفلة لا يمكنها تحمل  
هذه التجربة دون مخاطرة لكن هذا يحدث فقط في حالةسوء معاملة  
الأهل . بدا "أوليفر" مقتناعاً ثم سالها فجأة :

- لماذا تخصصت في العمل بالمؤسسة الاجتماعية الخاصة بالأطفال  
البؤساء ؟ هل شهدت طفولتك مواقف عصبية ؟

- هذا أول سؤال يطرحه الأطفال علي . إنني دهشة حقاً من فاعلية  
هذه الحيلة في كسر البرود . إن "ديدي" - وهو اسم دميتي - من خير  
مساعدي فعندما يخاف الأطفال فإنهم يتذوقون بها في الوقت الذي لا  
يجرءون فيه على التوجّه نحوها .

تأملها "أوليفر" في صمت ودهش ثم وضع كوب اللبن على المائدة :

- يا إلهي ! ... لكن هل تمكنت من الاعتياد على بوس من تقابلينهم ؟  
أجابته ببساطة :

- لا . لا يعتاد أحد ذلك في الحقيقة لكن الأمر ينتهي بصنع نوع ما  
من السلاح .

كانت "مادي" تلعب مع "ديدي" وهي تتحدث متجلبة النظر إلى  
المعاناة التي رأتها في عيني "أوليفر" .

- يهتم الأطباء بمعاناة مرضاهem لكنهم لا يرتبطون بهم عاطفياً وإلا  
لما استطاعوا معاونتهم .

دون أن يجيبها أمسك "أوليفر" يد الدمية وكانت عبارة عن كلب ذي  
عينين تعيستين وأنذنين كبيرتين . نجح بسهولة في فتح فمه ، ولفرط  
دهشة "مادي" رأته يداعب خد "ديدي" الوردي .

قال بصوت هادئ :

- سامحيني إذ لا أعرف إذا كان هذا يروق لك أم لا ؟

لما كان يحرك الدمية حملق "أوليفر" بشدة إلى "مادي" حتى إنها  
شعرت بالاضطراب يدب في أوصالها . فقدت رباطة جأشها واكتفت  
بالتفكير : "لذعه يتحدث" . لكن الدمية "ديدي" تحدثت رغمها عنها :  
- عظيم ، أفهم جيداً .

في نفس الوقت طبعت الدمية قبلة على أنف الكلب .  
أجابها الكلب :

اطلق أوليفر تذمراً معبراً عن سخطه واتكاً على الأرضية وعقد يديه خلف عنقه.

- أنا يا مادي كائن بشري عمل بضراوة سنوات طويلة أرجو لا تعتبريني شخصاً لا قيمة له يظهر في الاستادات أو على شاشات الإعلان. لا أنا رجل مسكين ولد في مدينة صغيرة.

قالت مادي بشجاعة وهي تبتسم:

- وانا ... أنا آماندا من إنديانا.

صاح مبتسماً:

- هالو آماندا من إنديانا. أنا أوليفر. إنني مسرور بمقابلتك. مد يده إليها وصافحها واحسست مادي بالدفء - تحت تأثير يده يسري في ذراعها كلها. قالت على نفس النبرة المرحة: - سعيدة بمعرفتك.

لكن مادي لم تشعر بالارتياح. سالها برقة:

- هل أنت بخير؟

- نعم ...

- حسناً. أحكى لي إذن يا آماندا من إنديانا: من أنت؟

- إنني أعمل إخصائية اجتماعية وأقوم بصنع الدمى.

- هناك أشياء مشتركة بيننا. إنني أبيع الأدوات الرياضية وأعلم السباحة للتلاميذ.

ابتسمت مادي وشعرت بالارتياح.

قال الرجل فجأة بصوت رصين:

- مادي، كنت أحب أن أعلمك السباحة.

- أوه لا ... لا يمكنني ...

شعرت بسخط داخلها. لم يكن في متناول يدها - للأسف - أي

- أنا؟ لا، مطلقاً! يا لها من فكرة!  
رفع كتفيه:

- سامحيني ولكن هذا يبدو لي منطقياً لأن أسأل هذا السؤال. إن خوفك من الماء مرض وينبع بالتأكيد من العذاب الذي رأيته في طفولتك،ليس كذلك؟ علاوة على ذلك تدين خجولاً على الرغم من كونك امرأة جذابة أيضاً ...

- أبداً!

- أبداً بخصوص فتاة خجول أو جذابة؟

ابتسم لها واحسست مادي بأنها غبية مثلاً كانت في الخامسة عشرة من عمرها إزاء التقدم الذي يحرزه الرجل. كانت تنظر إلى نفسها في المرأة بينما كانت أمها تتحقق إليها بعينيها المستديرتين. كانت مادي الصغيرة أيضاً ترفع شعرها اللائق الذي ينسدل على كتفيها النحيلتين بينما كانت أمها تترك خصلة من شعرها بين عينيها.

- لا تنسني يا صغيرتي أن الشيطان قد يمتلك وجهًا جميلاً أيضاً.

استعادت مادي انفاسها بصعوبة ولاحظت:

- أفقدتني بنفسي عندما أتواجد أمام رجل وائق بنفسه و... وقع تعجب الرجل بدهشة:

- وقع؟ هذا آخر شيء كنت أنتظره! لقد حاولت أن أتعرف عليك جيداً بدلاً من أن أعطيك صورة غير صحيحة عنّي. هل جعلتني عصبية؟ هل أنت غاضبة مني لأنني حملتك بذراعي عندما فقدت وعيك؟ دهشت المرأة واحسست برعنونتها ولم تجد غير هذا التفسير لتبرر به اضطرابها:

- أنت ... أوليفر لندن.

كانت حالة تريرزا يمكن إحالتها إلى آخرين فلا يوجد داع لأن ترى أوليفر مرة أخرى . لكن مع هذه الدروس ....

اكتفت مادي بان تنطق بقوه :

- حسنا ، إنني موافقة .

- حسنا . يمكننا البدء إذن ... ما رأيك في أن نبدأ بعد ظهر غد ؟

بمجرد أن ينتهي يومك على سبيل المثال .

- يمكنني المجيء في السادسة .

ـ حسنا جدا فهذا يمنحك الوقت الكافي ... علاوة على أنه لن يمنعنا شيء من استخدام الحمام طوال الليل . إن منظر الماء تحت أضواء الكشافات مدهش .

- أفضل الساعة السادسة ... أين تسكن ؟

- بالقرب من ملعب الجولف . ساعطيك العنوان .

كتب أوليفر بعض الكلمات على ورقة انتزعها من دفتر التليفون وناولها إليها .

- مادي ، إنني مصر ... لن تخدعني ، أليس كذلك ؟ إنك بالنسبة لي أكثر من تلميذة . إنك تمثلين تحدياً لابد أن أكسبه ، أتفهمين ؟ لا ، إنها لم تفهم . حاول الرجل أن يعطي مزيداً من التوضيح وهو يحد ذاته .

- في يوم ما لن ترتادي في . ستكونين في هذا اليوم قادرة على أن تروي لي سبب إحساسك غير المنطقي بالخوف من الماء .

كتبت مادي رجفة أحسست بها واجبته :

- تبدو لي أنك واثق بنفسك .

دمية لاستخدامها كوسبيط بينها وبين هذا السيد الذي ينتظر إليها بعينيه الزرقاءين الثاقبين .

قال مصرى :

- ولم لا ؟ ساعطيك دروساً خصوصية في حمام السباحة بمنزلتي .

هزت مادي رأسها يميناً ويساراً وهي تشعر بالخوف . زفر أوليفر . زفرة عميقه :

- أسمعي ، لا أعرف ما تخيلته لكن اقتراحي يقتصر على دروس السباحة ولا شيء غير ذلك . أؤكد لك هذا .

احسست مادي بالحيرة بين القلق والإثارة ولم تستطع أن تتخاذل قرارها . قالت بثقة حتى تكسب وقتاً :

- لا أمتلك المال الآن .

نظر إلى طرف لسانها الذي مررت به على شفتيها الجافتين وهو يقول : من حدثك عن حصن مدفوعة الأجر ؟ إنك تمثلين بالنسبة لي رهاناً لابد على أن أكسبه .

صمت لحظة ثم واصل حديثه :

- مادي ... أرى أنك كنت تحتاجين إلى جرعة شجاعة في ذلك اليوم حتى تذهبين إلى حمام السباحة . أعجبت بك لقدرتك على هذا . لكنني أعلم أيضاً أنه يجب عليك أن تتعلمي السباحة ليس من أجل أسباب تافهة . لكن لا تتمكن من إقناعك سأكون معلمك . إذا وثقت بي فلن توجد أي مشكلة . مادي ، أرجوك ...

وثقت مادي به على الرغم من أنها لا تفهم حقيقة الدوافع التي تدفعه على الإصرار بهذا الشكل وأدركت أيضاً في نفس الوقت أنه إذا

- اوه ! إنني كذلك ...

مرر يده برقة على خدّ مادي ثم أستقطها واضاف :

- إنها أول مرة منذ وقت طويل .

رحل أوليفير مسرعاً وتركها في حيرة تامة من أمرها .

٤ ٦ ٤

سأل أوليفير نفسه أكثر من مرة عندما كان يركب سيارته عن السبب الذي يدفعه إلى التقرب من هذه المرأة التي تبدو غريبة عليه تقريباً . لقد ذكرته في أول وهلة بالمرأة الجذابة التي يهرب منها بغير زته . لكن سلوكها يشبهها بهؤلاء الأطفال الخشنين وهوؤلاء اليتامى والتعساء المحرومين من العطف .

لن يمكنها عندما تكون في حمام السباحة التخفي وراء هذه الدمى اللعينة التي تكون حاجزاً بينهما . إذا اقترب منها فإنه يتبعي عليه أن يساعدها على إيجاد طريق الخلاص .

## الفصل الخامس

قالت مادي برقة :

- إنها رائعة وفريدة يا لاري .

ادارت مادي نظرها عن نقطة الملاحظة عبر النافذة التي تطل على صالة الألعاب بمركز الأطفال واقتربت من الدكتور لاري ويتالو . وضع ذراعه برفق على كتفيها .

- على الرغم من تحذيراتي والكتب التي حدثتك عنها وقراراتها وتهديداتي إلا أنك تعلقت في النهاية بطفولة .

ابتسمت المرأة بحزن مدير المركز :

- ماذا كان يمكنني أن أفعل ؟ لقد تعلقت هي بي قبل أن أهتم أنا نفسي بها .

- بالتأكيد ، بالتأكيد ...

لاحظ لاري عبر زجاج النافذة الصغيرة تريراً التي تلعب .

استطربت "مادي" :

- لم أستطع أن أفهم كيف أمكنك أن تصطحبها بسرعة هكذا هل البيئة الأسرية رهيبة ؟
- تريزا لا تعيش مع والديها . لقد مات والداها . وتم إيداعها لدى خالتها وزوجها . خالتها ليست سيدة لكنها تعيش تحت سلطة زوجها الذي يبدو فيرأيي رجلاً انفعالياً .
- كيف أصبح حالها ؟ هل ستعيش في دار الأطفال ؟
- لا أعلم شيئاً عن هذا حتى الآن . ستدرس حالتها غداً أمام المحكمة.

من الرئيس ؟

- شعرت "مادي" بالضيق مجرد أنها فكرت في ضرورة أن تواجه تريزا هؤلاء المجهولين في جو بارد وأرض مجهولة .
- السيدة بيرجمان .
- أحسست "مادي" بالإرتياح . كانت السيدة بيرجمان قاضية أطفال وتنسم بالإدراك والدفء .

كيف ستنصرف الحالة وزوجها ؟ هل سيعترضان على القرار ؟

- يصعب التخمين . حاولت الحالة أن تفعل ما في وسعها من أجل الصغيرة لكن زوجها أوحى إليها بالخوف الذي قد تعانيه . اعتقاد أنها ستهدأ بعدم اضطرارها للتشاجر مع زوجها بخصوص الطفلة .

انتهت تريزا من اللعب بالورق . رفعت الصينية وارتادت وضعها على الرف لكنها تحضرت وانشرت الورق على الأرض . رأت "مادي" من خلال النافذة الطفلة ترفع يديها إلى فمهما بخوف والقت نظرات شاردة على ما حولها . ثم جثت على ركبتيها . أثار هذا المشهد المؤثر الدموع في عيني "مادي" .

- قال "لاري" مفكراً :
- لا بد أن أجد لها أسرة تتبعها .
  - لفرط دهشتها اقترحـت المرأة قائلة :
  - "لاري" ، اعهد بها إلي .
  - لم تبد الدهشة عليه من جراء هذا الاقتراح لكن هزه لرأسه لم يترك أي أمل .
  - قالت مصورة :
  - أتركها على الأقل حتى تتبعها أسرة .
  - تعرفين موقعـي يا "مادي" . تعرفين أن الشرطة ...
  - أوه ! أبعد الشرطة عن هذا الموضوع ! الطفلة تعرفـني وتنـقـبي .
  - ستشعر بالسعادة معي عن وجودـها في هذا المركز التعليمي البائس للأطفال ...
  - إلى متى ستحتفظـين بها ؟ يومـين؟ أسبوعـاً؟ ستتعلقـ بك وسيكون الفراق مؤلمـاً عليها وعليـك أيضاً .
  - لم تأخذ "مادي" وقتـها في التفكـير .
  - سابتـنـها في مثلـ هذهـ الحالـة . هلـ أنتـ موافقـ ؟
  - مستـحيلـ وتعلـمـنـ ذلكـ . إنـكـ عـزـبـ وتعلـمـنـ وليـسـ لـديـكـ أيـ خـبـرـ بـخـصـوصـ تـربـيـةـ الـاطـفالـ .
  - لاـ لـلـخـبـرـ ؟ وـعـلـيـ فيـ المؤـسـسـةـ ؟ وـحـصـصـيـ فيـ المـدرـسـةـ ؟ مـثـاثـ الـاطـفالـ يـمـرـونـ عـلـيـ .
  - بالـتـاكـيدـ ، لكنـ تـربـيـتـهمـ بـمنـزـلـكـ اـمـرـ مـخـتـلـفـ تـامـاـ . المشـاـكـلـ الـيـومـيـةـ وـالـبـكـاءـ وـالـغـضـبـ وـالـنـزـوـاتـ وـالـضـجـيجـ وـالـمـناـزـعـاتـ ... وـفـوقـ كلـ هـذـاـ رـعـاـيـتـهاـ فيـ كـلـ لـحـظـةـ ، هلـ سـتـتـحـمـلـنـ كـلـ هـذـاـ ؟
  - ماـذـاـ تـحـكـيـ لـيـ ؟ نـقـولـ لـيـ هـذـاـ كـمـاـ لوـ لـمـ يـكـنـ فـيـ إـمـكـانـيـ أـدـركـ هـذـاـ

كله!

- كيف تخمن مثل هذا الأمر ؟ على ما اعرفه فإنني اعتقد أنك تعرفه شخصيا .

- بالفعل . لقد عملت معه في مشروعات عديدة منها : نادي الأولاد على سبيل المثال .

احسست ماديا بالحزن والإحباط وأدارت ظهرها إليه ونظمت عرائسها بعصبية في خاناتها .

- اسمععي يا مادي ...

كان لاري ويقالو صديقا طيبا وعندما وضع يديه على كتفيها أحسست بغضبها يتلاشى .

- تعلمين جيدا أنك فريدة من نوعك هنا . تقومين بالمعجزات مع عرائسك ... لا أرى أي ضرر في أن تبقى على اتصال بـ تريزا عندما تعثر على منزل دائم لكن لابد لك حينذاك الا تزيدي الوضع سوءاً مع والديها المتبنين . تفهمين ذلك جيدا ، اليس كذلك ؟

أجبته بابتسامة مشرقة :

- بالتأكيد .

لكن بعد أن ركبت سيارتها تذمرت كثيراً قالت في نفسها : أوليفر لندن . كيف يمكنك أن تنتصرف معي بهذه الوحشية ؟ .

\* \* \*

بسبب هذا الغل استجمعت ماديا شجاعتها لذهب إلى الدرس الأول لتعليم السباحة . لما توجهت إلى باب دخول منزل أوليفر ندمت على أنها لم تجلب معها تشن - تشن فقد كانت ستزيد ثقنتها بنفسها .

تحتاج تريزا - بصفة خاصة - إلى الصبر والعطف ويمكنني أن أمنحها إياهما .

لم يكن لتفسيرات مادي أي تأثير على لاري . علاوة على أنه استخدم حجة يتغزّر بها :

- إنك لا تمتلكين المؤهلات المطلوبة لأن تكوني أما كما أنتي تلقيت عرضاً بخصوص تريزا .

- ماذا ؟ من يمكنه ... ؟

- شخص لابد أنك سمعته يتحدث . إنه يدعى أوليفر لندن .

- من ؟ إنك لا تتحدث بجدية .

احسست بالغيرة والمارارة لكونها خدعت . كيف تجاهل أوليفر الود الذي تشعر به تجاه الطفلة ؟ لماذا لم يحدثها عن طلب التبني هذا في أثناء مقابلتها الأخيرة ؟

قال الطبيب مفسراً :

- لقد أتي لرؤيتي في هذا الصباح . كان من الطبيعي أنه أخبره أنه تصرف بسرعة .

إلى حد ما ...

- لكنه غير مؤهل مثلي !

- غير صحيح ! لقد ربى طفلاً ويمتلك ثروة معقولة مما يسمح له بتوفير مصاريف تربية الطفلة دون أي مشاكل .

- إنه عازب .

- هذا صحيح لكنه لن يبقى هكذا إلى النهاية . إنه لن يتوازن - في رأيه - عن الزواج .

وارغمها على التقدم . شعرت **مادي** بالخوف يجتاحها بعنف شديد .  
أرغمت نفسها على النظر من حولها وأعجبت بالصالون الكبير . كان  
هناك درجتا سلم تؤديان إلى صالة الطعام .

تمتمت :

- إنها ... كبيرة جدا .  
- كبيرة جدا بالنسبة لرجل عازب ، أليس كذلك ؟ إنك محق .  
علاوة ... يتبغى أن أعالج هذا .

شعرت **مادي** بخفة ونحوت في ان تسأله :

- هل ... هل تقيم بمفرنك ؟  
كيف يمكن أن تتخيّل أن هذا الرجل مع شعره الأشعث وبشرته  
السماء وقميصه المفتوح يستطيع أن يطيق هذه الغرف الكبيرة شبه  
الفارغة ؟ لن تستطيع **تريزا** التعود على هذا المنزل . ستقرر المحكمة  
هذا مع قليل من الحظ .

قال بجهاء :

- لدى خادمة ، لا تقلقي . لن تخاطري بـ أي شيء . وإن ساريك  
الحمام . هل حضرت منشفة ؟  
- أوه ... ! لقد تركتها في السيارة .  
امسكتها **أوليفر** في اللحظة التي انطلقت فيها نحو باب الخروج .  
- لا ترحي . لدى كل ما يلزمك هنا .  
مع وبيض سرور في عينيه كما لو كان يستمتع برعونتها .

قالت متاعثمة :

- عفوا ، لكنني ... اتساعل بما إذا كنت عصبية بعض الشيء .

صاح متظاهرًا :

- لا !

فتح **أوليفر** الباب لها . لم يكن مرتدية إلا لباس البحر وقميصاً  
أزرق مفتوحاً على جذعه وصدرها موضوعاً باهتمال على كتفيه .  
تفرست **مادي** فيه بارتياح . لما كان مهتماً برفاقيه هذا المنزل كان من  
الغريب الا تسرع أي خادمة لفتح الباب لها .

لم يحرم **أوليفر** نفسه من دراستها من اخصوصي قدميها حتى رأسها  
وقد أحببه بنطلونها الأزرق والسوبر القطني الأبيض الذي ترتديه .  
قال والابتسامة تبدو في صوته وعينيه :

- إنني سعيد بقدومك . ماذا تفضلين : التزلج أم السباحة ؟  
- السهرة منعشة ولم اعتد القيادة بلباس البحر .  
تذمر بكلمة تشبه **خسارة** وانخلها .  
- تعالى وغيري ملابسك في الحمام .  
- شكرا ...

اصطكّت أسنانها وأجبّرت نفسها على التكلم بلا مبالاة :

- منزل جميل . رأيت ملعب الجولف الذي تملكه خلف منزلك . هل  
لعبت فيه ؟  
- قليلاً لكن **كارول** زوجتي كانت تعشق الجولف .  
- اووه !

شعرت ببرودة لمحها **أوليفر** باهتمام :

- برد أم خوف ؟  
- برد .

- في مثل هذه الحالة يجدر بك أن تدخل بدلاً من الوقوف على عتبة  
الباب .

ادركت **مادي** المضطربة أنها لم تغير المكان منذ أن فتح **أوليفر** لها  
الباب . بما أنها غلت متسمرة على عتبة الباب أمسكتها من ذراعها

الخضراء واللبلاب وتكون غابة حقيقة متشابكة . كانت مياه حمام السباحة تناسب من وسطها .  
كرر أوليفر :  
- اولا الحمام البارد .

دفعها برقه لكنها غاصت في الحال :  
- اعتقد انه كان ينبغي عليك ان تعلمي السباحة ؟ ربما تتصور اتنى حمقاء لانتي وصلت من "إنديانا" ؟ لا يستطيع احد السباحة في حوض .

- من المعلم هنا ؟ كفى عن ان تزیدي مخاوفك العبثية ولنبدأ البداية الصحيحة .

جذبها "أوليفر" بالقرب من الحوض وفتح عدة صنابير ترش المياه التي جس حرارتها بيده .  
- عظيم . استمعي اولا إلى خرير المياه التي تناسب ... يعتبر الكثيرون هذا الصوت مهددا من الطراز الأول . لقد أخذت حماما قبل ذلك في مغطس ، اليك كذلك ؟  
- حقيقة ! لم أخذ قط .

- حستا جدا ...

دون ان تعرف كيف أصبحت ثملة من صوته ورقة حرکاته أطاعت "مادي" اوامره ووجدت نفسها طافية على ماء فاترحت معصم "أوليفر" القوي .

- مادي ، أغمضي عينيك .

فعلت المرأة ما طلبه منها . همس قائلة :

- هل تشعرين برقه المياه ؟ اتركيها تحملك ... لكن انتبهي حتى لا تناامي !

وضع يده على كتفها وابتسم برقه :  
- هل يبدو علي اتنى من نوع الرجال الذين يجنبون البنات الجميلات إلى مغطسه ؟  
أجابته ببساطة :  
- لا .

- الحمد لله ! إنني أنوي يا "مادي" مساعدتك على التغلب على خوفك . استرخي كل ما ستفعله لابد أن يبدو لك معتعا وسهلا . مفهوم ؟

اذعن لكلامه لكن الشك كان يتعبعها . كيف تفسر هذا الخوف الذي تشعر به في كل مرة تراه فيها ؟ هل يوحى "أوليفر" لها بخوف يفوق الخوف الذي تشعر به في الماء .

غيرت ملابسها في الحمام وهي تفك في مشكلتها . كل شيء كان يدهشها ! لماذا لم تسمع إشارة التحذير الداخلية التي يطلقها - تلقائيا - كل رجل يقترب منها على سبيل المثال ؟

لكن "أوليفر" سمح لنفسه ببعض الحرية التي لم تسمع بها لشخص آخر .

تفحصت نفسها تماما في المرأة من قدميها حتى مبت شعرها وهي ترتدي لباس البحر . تنهدت ثم خرجت من الحمام ولحقت بمعلمها .  
قال بصوت مشجع :

- سنبدأ بحمام بارد فهكذا ستشعررين بالاسترخاء .  
اقتادها إلى غرفة كبيرة كانت عبارة عن حجرة معيشة وصاله العاب . كانت الأرائك المريحة والمناضد المستديرة المغطاة بالجلات والجرائد متذكرة على سجادة سميكة .

كان هناك أيضا قبة كبيرة تطل على وسط المنزل وتخللها النباتات

فتحت عينيها وهي دهشة لعودتها إلى الحياة . الدفء ورائحة النباتات ورقة صوته ...  
ذرت ركبتيها ومدلت ذراعيها . وضعت رأسها بشكل طبيعي على عنق مدرسها . اعتدلت بحركة أظهرت خوفها الذي استمر قليلا لأن ذراعين قويتين كانتا تحتجزانها .

- اهدئي ، كل شيء سيسير على ما يرام ...  
اعترضت بحدة :

- إنني هادئة .

احست بشفتيه على شعرها لكن "أوليفر" كان واقفا على بعد عدة سنتيمترات من جسدها .

قال وهو يضع يديه على كتفيها :

- حسناً جداً . اعتقد أن هذا يكفي بالنسبة للدرس الأول .

كان هذا رأي "مادي" أيضاً على الرغم من أنها لم تشعر بأي خوف حقيقي من الماء . إنها لم تعره أي اهتمام لأنها كانت تراقب حركات معلمها باستمرار .

أدانت رأسها عن جسد "أوليفر" القوي حتى لا يستطيع أن يقرأ الإضطراب البادي على وجهها المتورّد . كل هذا كان خطأ من هذا الرجل ! لقد أراد أن يجعلها تقدر القيمة المؤثرة للماء .

مد يده إليها وأحسست بقوتها ثم تركها وامسك منشفتين . أعطاها واحدة وهو يتتجنب النظر إليها . لقد بدا هو الآخر مضطرباً عندما حضرت "مادي" إلى حمام السباحة الموجود في النادي .

- حسناً ، الأمر ليس شيئاً كما كنت تعتقدين ، أليس كذلك ؟  
بدأ "أوليفر" مليئاً بالطاقة والبشراسة فجأة . هزت رأسها . كيف استطاع أن يجعلها لاهثة الانفاس هكذا ويزيد ضربات قلبها ؟  
لكن ... هل تعتقد أنني تعلمت شيئاً ؟

- بالتأكيد ! لكنك لم تتوقعي أن القى بك في حمام السباحة لأرى

فتحت عينيها وهي دهشة لعودتها إلى الحياة . الدفء ورائحة النباتات ورقة صوته ...  
قالت متعترضة :

- لا ، لا ، لن انام ، إنني أسترخي فقط .  
- حسناً .

داعب شعرها بحركة منتظمة جعلتها مثل النائمة مغناطيسياً .  
- تمددى ... استريحى على الماء وكانت على سرير مريع ... عظيم ...  
استمرى .

احست بيديه اللذين تساندانها من تحت كتفيها حينما كانت تطفو على الماء وكانها تطفو على السحاب . تسائلت : هل لهذه التجربة هدف خبيث غير تعليمها السباحة ؟

لكن لا يهم ... لم يكف "أوليفر" عن تشجيع تلميذه . كان رأسه قريباً من رأسها حتى كانت تتلامس شفاههما إذا التفتت عدة سنتيمترات .  
قال :

- قفي ! الحرارة أصبحت مرتفعة جداً ...

قالت في نفسها : "خسارة" . لماذا اتخذ صوته هذه النبرة الحادة بينما كانت رقيقة قبل عدة دقائق ؟ ساعدتها "أوليفر" على الجلوس على حافة الحوض .

أخبرها قائلاً :

- بعد هذا الحمام الساخن ستبدو مياه الحمام لنا باردة .  
قالت في قراره نفسها وهي تشعر بالثراء المائي على جسمها : "بلى ، إنها متعشة" . لقد دخلت إليها بدون صعوبة وهي تشعر بالإطمئنان لوجود "أوليفر" الواقف خلفها .

- سنبدا التجربة . اتركي نفسك على المياه حتى تبدو أنها تحملك .

كيف ستخرجين منه ؟

اقرب منها وضبط المنشفة على كتفيها المرتعدين واستخدم جانبها منها ليجفف وجهها .

نقلتهما هذه الحركة الآلية إلى عالم المودة الصارخة كما لو كان العالم الخارجي اختفى من حولهما . احسست بموجة مضطربة تتشتعل بداخلها وأدركت أنها تلهث . أضاء وميض من السعادة عيني "أوليفر" الزرقاءين .

- لا تنسى أنني معلمك ...

خفض رأسه وطبع قبلة على طرف أنفها وواصل حديثه :

- هيا نجف نفسينا . سانذهب لأرى "دليلة" تتسع في هذه الانحاء . أتريدين قهوة أو شوكولاتة ساخنة أو شيئاً ؟

- أوه ! أحب تناول الشوكولاتة الساخنة ! لم اتناولها منذ أن كنت صغيرة ! هذا يذكرني بأمسيات الشتاء التي كنا فيها شبه متجمدين والتي كانت تقدم فيها أمي لنا الشوكولاتة الساخنة . كانت رشقة واحدة تكفي لأن تدفئنا .

ابتسم "أوليفر" وأدخل "مادي" إلى المنزل ونادى :

- "دليلة" ؟ "دليلة" ؟ أين أنت ؟

- إنني قادمة يا سيد "أوليفر" .

ظهرت سيدة سمراء وقوية ذات شعر أبيض مجعد في أعلى السلم . جفت يديها بخرقة وتفرست عيناهما في المرأة التي يمسكها رئيسها من كتفيها . انفرجت شفتيها على ابتسامة .

- "دليلة" ، هل يمكنك عمل شوكولاتة لنا ؟

- شوكولاتة ساخنة ؟

انصرفت "دليلة" وقال "أوليفر" شارحاً :

شعرها وهر رأسه بحيرة .

- ربما لا يبدو هذا معقولا ... اعلم جيدا ان فكرتي مجنونة . إنني  
لم ارها سوى مرتبين ولا اعرف لماذا اصابتني هذه الطفلة بالحيرة .  
ضحك ضحكة ساخرة قبل ان يستطرد :

- هل تذكرين هذا المشهد في حمام السباحة ؟ طلبت مني ان ارعاها  
وتلقيت هذه مثل اللعنة في بطني .

دفع شعره بيده إلى الوراء . لمعت عيناه من العاطفة وتجمد فقام .  
نسبيت 'مادي' 'تريرزا' فجأة وتأملت - بدھشة - هذا الشاب الوسيم  
المصور على علب الفاكهة ، هذا الفتى الأمريكي الرياضي .

- عندما رأيت كدماتها أردت ان اقتل او اخنق بيدي المتوحش الذي  
فعل بها هذا . هل يمكنك فهم هذا ؟

إذا كان فقط يمكنها التخفي وراء إحدى عرائسها ! فإنها تشعر  
بالوهن أمام 'أوليفر' !

بماذا تجيبه ؟ عندما يحب أحد - حتى لو كان من الجنس الآخر -  
بنّة صغيرة بائسة او دمية ماذا يمكن ان يقول ؟ القلب يتكلم ولا يمكن  
السيطرة عليه .

- 'مادي' ؟  
كان 'أوليفر' جالساً امامها يتغرس فيها باضطراب . ادركت أنها لم  
تجبه وانها لم تنطق كلمة منذ أن اعلن عن نيتها في تبني 'تريرزا' . جلت  
صوتها وقالت :

- إيه !  
- تعتقدين أنني مجنون ، أليس كذلك ؟ رجل عزب يهتم بشؤون  
طفلة ! ادرك أن ... إنك تدينين متحفظة بشان هذا القرار لكنك لا  
تعرفينني في الحقيقة .

## الفصل السادس

يتبني 'تريرزا' !

على الرغم من أنها توقيع هذه الكلمات إلا أن وجه 'مادي' قد شحب  
لونه .

احست بجرح وغضب ولم تعرف سبب تلقيها هذا الخبر كما لو  
كانت قد تلقت - غدرا - لعنة قوية .

لكنها عرفت أن 'لاري' محق في رايها وأنها لا تمتلك اي فرصة في  
الحصول على 'تريرزا' .

لقد بلغت الخامسة والعشرين من عمرها وليس لديها اي رغبة في  
الزواج علاوة على أنه لا يوجد أي رجل يجذبها ... إنها تحب العيش  
 بمفردتها . لماذا تشعر إذن بهذه الحاجة الملحة لتربيبة 'تريرزا' وكانها  
ابنتها ؟

كان 'أوليفر' يحدثها لكنها لم تكون منصته إليه . مرر أصابعه في

ايضا . حاولت ان تذكر : هل حدثته عن المشاعر التي تحسها نحو تريزا ؟ ربما لا . إنها لم تشر إليها قط . لماذا تبوج بهذا إلى رجل تعرفه بصعوبة ؟

- قرارك كان مقاجئاً بالنسبة لي ... لم أتوقعه .  
- أعلم هذا . أنا أيضاً فوجئت بقراري .

لم يتركها أوليفر بنظراته ووجدت مادي صعوبة في مساندته .  
قالت متلعلمة :

- علاوة على أنك عازب .  
- نعم ، لكنني لن أبقى على هذا الحال إلى الأبد . بالإضافة إلى أن دليلة ستكون خير معاونة لي .

- هناك اعتراض آخر : ما رأي دليلة في موضوع التبني هذا ؟ هل حدثتها عنه ؟  
- نعم ، وجذبتها هذه الفكرة جداً .

- أوليفر ، لا أرى أنك مخطئ لكنني لا أريد أن أعطيك أملاً واهية .  
تريزا لا يمكنها التصرف فمصيرها سيحدد غداً أمام القاضي والشهود وسيفصل في أمرها .

قال متذمراً :

- أعلم هذا . لقد تم استدعائي كشاهد .  
لما لم تستطع مواجهة النظارات الثاقبة الموجهة إليها نهضت مادي وخطت عدة خطوات في الحجرة .

- أظن أنه عرض عليها منزل للأطفال حتى يتم البحث لها عن أسرة تتبنّاها فترة مؤقتة . هذا الحلّ أفضل من أن تكون مع بعض اليتامى في مركز . إذا لم يظهر أحد أقاربها في هذه اللحظة فإن هذه الأسرة يمكنها تبنيها إلى الأبد إذا كانت ترغب في ذلك . أما بالنسبة للتبني

قفر على قدميه وهو غير قادر على الاحتفاظ بهدوئه :  
- لكن القانون سمح بتبني الأطفال حتى لو لم يكن متزوجاً ...  
ثم عاد وجلس على الأريكة .

- مادي ، إنك تعملين في الملاجئ ومراكز التربية ويمكنك أيضاً تعليمي . هل تعتقدين أنه لدى فرصة في تبني تريزا ؟  
- حسناً ، أنا ...

وقفها وصول دليلة التي تحمل قدحين من الشوكولاتة الساخنة على صينية عن تكمّلة حديثها . أخذت قدحها وضغطت بيدها على البورسلين ثم تنفست الرائحة الذيدة .

شعرت مادي ببعض الخجل . هذا الرجل الجالس أمامها لم يعد يبدو في عينيها بطل البحر أو البطل الأوليمبي "أوليفر لندن" . كانت تتأمل كائناً بشرياً جذاباً لكنه حساس للغاية . لكن هذا الاكتشاف زاد لسوء الحظ - المشاعر العنيفة التي أوحى بها إليها بدلاً من أن يهدئها .  
كان هناك جزء منها يحثّها على التقرب منه وتقصير المسافة التي تفصلهما . إنها لم تشعر قط بمثل هذا الاندفاع الغريب نحو رجل ملائتها آناتيتها في نفس الوقت بالخزي . لقد فقدت تريزا والديها ولم يعد له أوليفر أي أولاد . تريزا تحتاج إلى الحب وأوليفر يمكنه منحها إياه .

أخذ التبني شكل حكايات الأساطير حيث تحول الشر إلى سعادة .  
قال ملاحظاً بعد أن شرب رشفة من الشوكولاتة :

- لم تقولي أي شيء . قطعت حاجبتك . هل تبدو نيتني عابثة ؟  
- أوه ! كلا .

- ماذا إذن ؟ اعتقدت أنك ستوافقيني في الحال .  
كان لابد لها أن تكتم غضبها . كيف يبدو غير حساس هكذا ؟ واعمى

الخطوات على الرغم من أنها تردد "تريرا" لنفسها .  
 قالت لنفسها وهي تقود سيارتها : "أوه يا مادي" ، حاولي ان تكوني  
 شريفة ! تعرفين جدا ما ترغبيته في الحقيقة .  
 رات من خلال الدموع التي ملأت عينيها طفلة ذات شعر اسود  
 تبتسم من السعادة لشخصين يمسكان بيدها : أحدهما بطل أوليمبي  
 والشخص الآخر فتاة شقراء خرقاء .

\* \* \*

ارتدى "أوليفر" بنطلون رياضية وكرافت ليعطي انطباعا جيدا . خرج  
 من عند الحلاق الذي قص شعره .  
 قال لنفسه وهو يعبر الحوش المؤدي إلى المحكمة : "الهدوء . هذه  
 المنشية ليس بها اي شيء غير عادي . سيطرح القاضي علي بعض  
 الاسئلة وسارد عليها باختصار . هذا كل ما في الأمر" .  
 لكن "أوليفر" لم يواجه قط إلا القضاة الرياضيين منذ أن مثل قبل  
 عشرين عاما أمام قاضي الأطفال . جريمه ؟ كانت جريمته أنه ركب  
 القطار دون أن تناول له الفرصة لشراء تذكرة . ومثل أمام القاضي مرة  
 أخرى ... في ظروف أخرى ... رأى "أوليفر" أن كل صالات المحكمة  
 متشابهة وكبيرة وباردة .

قال مؤكدا لـ"لاري" الذي يسير إلى جواره :  
 - لن تشعر البنت بالارتياح هنا .

- أوه ! لن تتوارد "تريرا" هنا ، سياخذ القاضي رايها في جلسة  
 خاصة . لن ترى الطفلة اليوم .  
 - حقا ؟

الخاص كما هي حالتك فينبغي عليك او لا ان تحصل على موافقة  
 خالتها وزوجها سيمتحنانك بعد ذلك فترة احتفاظ بالطفلة ثم يمكنك  
 فيما بعد ان تشرع في إجراءات التبني الشرعية .

فكر "أوليفر" في كلامها ثم نهض ولحق بالمرأة بالقرب من المدفأة  
 التي استندت إليها ووضع يديه على كتفيها بشكل طبيعي .  
 - أخبريني بما ينبغي ان افعله .

احست "مادي" بالضعف والحبة فجأة لكنه لم يكن إحساسا كريها  
 على عكس ما كانت تظنه .

- يلزمك في البداية محام .  
 - لدى محام . وبعد ذلك ؟

- إذا كان "لاري ويتالو" يقف في صالحك فهذا سيساعدك كثيرا .  
 قطب عينيه والشك يبدو عليه .

- تحدثت بشان ذلك مع "لاري" ،ليس كذلك ؟  
 أومات برأسها . التزم الصمت لحظة ثم سالها :

- وانت ؟ إلى أي جانب تقفين ؟  
 أمسك خصلة من شعرها برقه ودفعها خلف اذنها . سرت رعدة  
 طويلة مباشرة في عنقها .  
 كانت تحرق شوقا لأن تضع خديها بين يدي "أوليفر" لكنها غلت  
 ساكتة وهمست برقه :

- إنني في جانبك بالتأكيد .

اخرجتها ضحكة الانتصار من السبات الذي راحت فيه . ثم  
 استعدت للرحيل .

أوه ! نعم ، إنها في جانبك ! لقد حاولت من أجله . جعلتها هذه  
 الفكرة ترتعش من الخوف . لقد حاولت بكل قوتها ان تسهل له

- إنني أعطيها دروسا في السباحة .

قال لاري ملاحظا وهو يخرج من المصعد :

- فكرة جيدة .

شعر أوليفير بالاطمئنان لوقوف مادي بجانب تريزا . لم يكن لاري مخططا : إنها رائعة مع الأطفال . إنه يتذكر الحركة الغريزية التي دفعت تريزا إلى الاحتماء بها في التدريب الأول لتعليم السباحة . لقد تحفظ في الحقيقة على سلوكيهما عندما كانوا معا .

تذكرة أيضا نظرات القلق في عيني تريزا المصوبة عليه وراسها الذي لا يكاد يصل إلى صدر مادي ...

بالاطمئنان الذي شعر به من أجل تريزا عندما علم بوجودها .

وصل إلى القاعة وهو مقتنع تماما بهذه الفكرة الجميلة حتى اللحظة التي دخلت مادي فيها إلى القاعة .

كانت مرتدية بنطلونا غامقا وتي - شيرت وربما ذاك مين قصرين تتدلى ستارة خفيفة من قبعتها على عينيها تثير الرغبة في تمرير الأصابع عليها ... كان كل شيء فيها يحثه على لمسها .

قالت :

- صباح الخير يا لاري .

جلست بجانب الطبيب النفسي ثم مالت وقالت :

- صباح الخير يا أوليفير .

احس أوليفير برغبته في لمس وجهها .

ابتسمت له وهي غير مدركة تماما الآثر الذي فعلته وقالت ملاحظة :

- ارتديت كرافنة ...

في اللحظة التي كانت ستتضيق فيها تعليقا توقفت بعد أن أحسست بحركة في وسط الصالة واستدارت .

دهش أوليفير وشعر بالإحباط أيضا .

- سكينة هذه الصغيرة ! هل يلزم أن تمثل أمام القاضي بمفردها ؟

- لا تشغل بالك . الحجرة التي تراصها القاضية برجمان ليس بها ما يخيف . علاوة أن مادي ستصطحب تريزا أو ربما تصطحبها إخصائية اجتماعية أخرى .

- مادي ؟

توقف أوليفير في منتصف الحوش بالقرب من النافورة .

قال لاري بدھشة :

- نعم . مادي جوردون ، هل تعرفها ؟

- بالتأكيد . تقابلنا في حمام السباحة . بالإضافة إلى أنها هي التي طالبتني بالعناية بـ تريزا .

- بالفعل ، لقد نسيت هذا . يا لها من امراة مدهشة مادي جوردون هذه . إنها تنجح مع الأطفال بشكل رائع . إنها تستخدم الدمى لتقييم حوارا معك .

ثم واصل لاري سيره وتبعه أوليفير .

- نعم ، أعلم .

ثم سأله لاري :

- أخبرني ... منذ متى ماتت كارول ؟

القى أوليفير نظرة قاطعة عليه :

- منذ سنتين . لماذا ؟

- إيه ...

ركبا المصعد وحملقا في صمت إلى أرقام الطوابق التي تضاء واحدا وراء الآخر .

قال أوليفير في اللحظة التي دوى فيها جرس الطابق الرابع :

قالت بصوت منخفض :

- ها هي الحالة وزوجها ، لا اعتقد ان هناك محاميا حضر معهما .

تدخل لاري قائلاً :

- قلت لك : إنهم متفقان من قبل . سيسوى الأمر في عشر دقائق .

قرر أوليفر الا ينظر لحظة واحدة إلى هذا الجلاد الذي أساء معاملة تريزا ، عزم على الاحتفاظ بهدوئه حتى يترك انتطاعا طيبا لدى القاضي . لكن الفضول كان أقوى منه وأدار رأسه .

ماذا كان يأمل او يخشى رؤيته ؟ لم يكن يدرى اي شيء عن هذا إلا أن هذا الرجل يبدو متواحشا حتى لو كان يخفى هذا وراء قناع يتستر وراءه . كان الرجل كبيرا وأسمر وشعره مجعدا وله شارب . لم يكن بدينا لكن يبدو قويا . كانت زوجته سمراء وشعرها أسمر قصيرا ووجهها نحيفا .

اتجه نهن أوليفر إلى مكان آخر ، لقد رأى وجه تريزا المصاب . ثم عادت إليه ذكري صورة كان قد طردها من ذهنه فجأة : رأى صورة ابنته عندما أخرجوه من الحمام . تطابق الوجهان تماما :

- أوليفر ، هل أنت بخير ؟

أخرجه صوت مادي القلق من كابوسه . أراد أن يطمئنها لكنه لم يستطع قول أي شيء . ثم أعلن الحاجب :

- أيها السادة : محكمة ...

نھض الحاضرون ...

\* \* \*

لقد مر كل شيء على خير ما يرام ،ليس كذلك ؟

- ٧٤ -

أشعرت ابتسامة لاري بصوت الهادئ أوليفر بالاطمئنان . عبرا مرة أخرى الحوش حينما غربت الشمس في الأفق وكانت النافورة تصب ماعها المنشعش .

- كان لابد عليك وفقا لرأيي ان تركز على سوء معاملة هذا البالنس للطفلة .

- يا له من خطأ ! كان سيغضب وسيتحول غضبه ضدي . علاوة على انه ... ماذا ت يريد ؟ العدل أم الثار ؟ إنك وضعت تريزا في مامن الآن ولا يستطيع أحد أن يسمى إليها .

كرر أوليفر بحزن :

- الآن .

- نعم لكن هذا الإجراء المؤقت يمكن أن يصبح نهائيا . ستفصل المحكمة مرة أخرى في نهاية شهر يوليو .

- في خلال شهر إذن .

كانت مادي تسير إلى جوارهما ولم تنطق كلمة واحدة . اعتقاد أوليفر أنها تريد تجنب ان تتلاقى نظراتهما . توقيعوا أمام النافورة وبدت مادي مهتمة للغاية .

قال لاري محددا :

- هذه المدة قصيرة جدا على غير المتوقع لأن الحالة أكدت أنه لا يوجد اي فرد في العائلة مستعدا لتحمل مسؤولية الطفلة . تحتاج المحكمة إلى بعض الوقت للتحقق من هذا الادعاء . لا يفضل ان تبقى تريزا في مركز الأطفال هذا بدون أسرة فترة طويلة ... إنها ستتصبح في حوزتنا عما قليل .

قال أوليفر مصححا :

- في حوزتي !

أجابه لاري :

ان تجعل رموشها طويلة لكن رموش هذه المرأة ليس بها اي شيء صناعي . لا ، إنها لا تضع اي مساحيق ..

كان سعال لاري رزينا لكنه لم يخف شيئاً من سعادته .

- حان وقت العودة إلى العمل . مادي هل تريدين أن أصطحبك إلى المستشفى ؟ بدا ان مادي تخرج من حلم . هرت رأسها :

- لا ، شكرنا يا لاري . لدى سيارة .

- حسنا ، ساذهب أنا و أوليفر ، لا نفس أنت تحتاج إلى الصبر .

ابتعد لاري فاقصد موقف السيارات . كانت مادي تناه布 للحاق به لكن أوليفر أوقفها .

- هل ستاتين الليلة ؟

- كيف ؟

توره خداها بدون سبب .

قال متذمراً :

- درسك لتعلم السباحة . هذا المساء في نفس الساعة ونفس المكان .  
اتفقنا ؟

- أوه ! اتفقنا . إيه ... إلى اللقاء .

- إلى اللقاء في المساء .

تنهد أوليفر وهو يراها تتجه نحو سيارتها . كان يرغب في التحدث معها لكنه لم يستطع . ما السبب ؟ إذا كان يمكنه أن يلغى هذا الحاجز الذي تقimه بينهما أو يستطيع أن يقضي على هذه العرائس الصغيرة التي تخفي وراءها :

استشعر أوليفر في نفس الوقت أن قضية تريزا جعلت مادي حذرة . لماذا ؟

لقد أظهرت - حتى لو دافعت عن ذلك - نوعاً من العدوانية غير

- لا تكون وانت بتفسك . أخبرتك باهمية إقامة علاقة طيبة مع خالة تريزا وزوجها حتى تتوصلا إلى تسوية ودية فيما بينكم ... قائمة الأشخاص الراغبين في التبني طويلة جداً ويتناول البعض منهم منذ سنوات .

- أعلم .. أعلم ...

أدانت مادي رأسها . يا إلهي ! ماذا حدث لها ؟ كان لابد أن تشتك في أنه يبحث عن عينيها منذ فترة طويلة ؛ سالها دون أن يكف عن تفربسه فيها :

- أين توجد تريزا في هذه اللحظة ؟

ترك لاري الصمت قائماً على الرغم من أن مادي رأت أنها مضطربة للرد . أجبت وهي ترفع كتفها كما لو كانت في احتياج إلى الشجاعة لتجاه الكلام إلى أوليفر :

- توجد تريزا الآن مع أسرة تتبعناها : آل فرون فلتر . تعلم أنتني عندما ذهبت للبحث عنها لإحضارها إلى القاضي كانت يدامها موضوعتين حتى مرفقيها في الطحين . كانت تجهز جاتوهات ! رفض أوليفر أن يرثي لحاله على هذا المشهد .

- لكن كيف عادت إلى هذا المنزل ؟

- أتي السيد فرون فلتر للبحث عنها . قالت في قرارة نفسها : يا له من شيء غريب ! أولاً لم تكن لدي الشجاعة للنظر إليه والآن لا يمكنني إدارة راسي بمجرد أن تتقاضي علينا .

كان هذا هو الحال بالنسبة لـ أوليفر أيضاً . كانت رموش عيني مادي طويلة وسوداء . بالتأكيد تستطيع أي فتاة بمساعدة الماسكرا

المتوقعه بالفعل بمجرد أن نطق اسم الطفلة .

ـ تريزا ... سيسهم مصيرها في خلال شهر . هناك ثلاثة يومنا لقناع الخالة وزوجها بالتنازل له عن رعاية الطفلة . وفي هذه الحالة سيسعى للزواج حتى يضيع الفرصة على الأسر التي تنتظر تبني الطفلة البتيرة .

افتلت منه ضحكة . لقد اختفت المرأة الوحيدة - التي اعطته افكارا عن الزواج - خلف سور كبير كما لو كانت تزيد الفرار منه . لا تخفي ثلاثة يوما لغازلة مادي .

ربما تزعجه أكثر من زوج الخالة الغظيع هذا الذي صاح :

ـ إيه ! أنت !

استدار أوليفر وتم : عندما نتكلم عن الذئب .. انقض زوج خالة تريزا عليه وبشهادة زوجته تتعلق باذيه لتبعده عن أوليفر .

ـ هل أنت رجال حمام السباحة ؟ أليس كذلك ؟ معلم السباحة ؟

ـ نعم ، أنا هو .

رد أوليفر على كلماته الملاقة ببررة جارحة بهدوء شديد .

اضاف قائلا :

ـ بالضبط . لدى كلمتان من أجلك .

ـ أه ، وأنا أيضا . هل أنت الذي سبب لنا كل هذه المتاعب ؟

توسلت زوجته إليه قائلة :

ـ اسمع يا جو . أؤكد لك أن ...

ـ أصمتني يا شارلوت .

تخلص من زوجته بلاطمة مفاجئة

واستدار نحو عدوه . ادرك أوليفر جيدا ان مصلحته تتطلب الانصراف بسرعة لكنه رفض الهروب . عقد ذراعيه على صدره وأجابه

بنبرة مهذبة :

ـ إذا رغبت أن تعرف من هو الشخص الذي أبلغ عن وحشيتك نحو الطفلة فإنه أنت هذا الشخص .

ـ أخبرني إذن ! من أجل من تتدخل في شؤون لا تعنيك ؟  
اعلمك أنتي سيد المنزل ! دخلت الشرطة منزلي بسببك أنت واوشك  
أن أفقد وظيفتي . أرغب في ضربك !  
ـ جو ، أرجوك ، كفى .

ـ يا سيد سوتو هل تعتبريني أنا أيضا طفلة صغيرة بلا دفاع  
يا لهذا التهور ! إن إثارة زوج خالة تريزا قد يضعف أي أمل في  
التعافي ! لكن الغضب الذي شعر به تخطى كل حدود العقل . لم يرفع  
أوليفر يده على أحد منذ أن تعارك مع ولد يدعى هانك بلونكت منذ  
عشرين عاما . ضرب سوتو شفتي أوليفر ... الذي ضربه ضربة  
مباشرة حول بها أنف السيد سوتو إلى نافورة دامية .  
توقف في الحال لما رأى الدم السائل وتم تم باعتذار إلى الزوجة  
المتوسلة وانصرف .

ندم أوليفر بشدة لأنه أفسد فرصة تبني تريزا ! لن يرضي السيد سوتو أن يعهد بها إليه أبدا . لم يبق أمامه إلا حل واحد... ارتسست  
ابتسامة على شفتيه . ثم قال لنفسه وهو يجس الشفة المتألمة : إنني  
مضطر إلى الزواج في هذه المرة .

# # #

لكنه لم يفكر في الزواج حقيقة . حتى لو بدت مادي أو أي امرأة أخرى - مستعدة للزواج به فإنه لا يمكنه أن يوافق لمجرد أنه يريد

- من؟ مادي؟

لم يعكس تعبير وجهه إلا عدم مبالغة تماماً وهذا ما كان يأمله على الأقل.

تعجبت الخادمة وهي تحملق إلى وجه مخدومها:

- أوه! ماذَا حدث لك؟

- لا شيء، ارتطمت بالباب.

- سيد أوليفر، إنك منهك. لا تحاول الكذب علىي. لقد رببت أولاداً بالقدر الكافي حتى يمكنني التعرف على الشفة المتورمة من لحمة.

- دليلة، تبادرت بعض الكلمات المفجعة مع السيد سوتو زو خالة تريزا.

- يا إلهي، إنه يستحق ما حدث له. لكن ينبغي عليك أن تعتنى بجرحك.

اطاع أوليفر أمرها. لما كان يضع مطهراً على جرحه هنا نفسه على عدم وجود أي شاهد في أثناء المعركة وخصوصاً مادي. لكنه كان سعيداً لأنَّه لقن هذا الوحش درساً قاسياً.

أشعرته فكرة مجيء مادي - فجأة - بسعادة طاغية لم يكن يتوقعها. لم يستطع أن يتجاهل أنها جذبته بطريقة لم تفعلها أي امرأة منذ وفاة زوجته.

لكن الإحساس الذي يثيره في هذه اللحظة كان عنيفاً جداً وقد كان يدركه تماماً.

حاول أوليفر أن يصغر لكن شفته المتورمة منعه من ذلك. نزل إلى الطابق السفلي وشم لدى مروره رائحة الفطائر الطيبة وذهب إلى الصالة الرحبة المطلة على حمام السباحة. رتب المجلات المتناثرة وعدل بعض الوسائل وأحس أن الديكور يفتقد السعادة والسحر. لا

تبني طفلة صغيرة. لا، إن الزواج بدون حب لا يمكن تصوره. حتى لو رأى المرأة التي يحلم بها... لكنه لم يظهر أي اعتراض في تصور هذا الحل.

إنه متتأكد من أنه يعرف هذه الزوجة النموذجية مثلما يعرف أن تريزاً مجرد طفلة بالنسبة له. لا، إنها لن تحل محل مكان ابنه "جوزيف" لكنها ستخلقه في قلبه. إن الأطفال لا يمكن تعويضهم. لم يدرك أوليفر - حتى مشهد حمام السباحة الذي رفعت فيه عينيها بشكل مثير للحنان - مدى احتياجاته إلى طفل - يحبه. طفل يحتاج إليه. حتى عندما يقابل المرأة التي يمكن أن يحبها فإنه يعرف كيف يتعلق بها ليس على غرار الطريقة التي أحب بها كارول ولكن بطريق أعمق. لدى وضوح هذه الفكرة ارتسمت صورة في ذهنه. ساقان طويلتان وجسد نحيف وشعر أشقر غزير وهذا الخوف البادي في العينين الذي لم يستطع تفسيره.

هل يمكن أن يقابل في نفس اليوم وفي نفس المكان الزوجة والطفلة اللتين يرغبهما؟ يا لها من مصادفة! القت دليلة نظرة مرتابة عليه عندما دخل المطبخ. تجنب عتابها وأمسك قطعة جبن وابتاعها.

- ماذَا يوجد على العشاء؟

- ماذَا تطرح على هذا السؤال؟

أعلن بوقار وهو يمضغ الجبن:

- مادي چوردون المرأة التي قدمت بالأمس ستحصل بعد قليل من أجل درس السباحة. سادعواها على العشاء إذا كان هذا ممكناً.

- أعددت مكرونة وعندما انتهي منها فإنها ستكتفي جيشاً باكمله... إنها فتاة رقيقة.

يوجد به أي شيء رومانسي

أخبرته النظرة السريعة التي القاها على ساعته أن "مادي" لن تتأخر. هل سيشعل النار في المدفأة؟ يبدو هذا مثيراً للسخرية مع بداية شهر يونيو. من ناحية أخرى فإنه من الأفضل لدى الخروج من الحمام أن تجف نفسها عدة لحظات أمام النار قبل أن تغير ملابسها. السهرة لا تزال منعشة. نعم ستكون هذه النار المتاجحة مقبولة... أشعل "أوليفر" الحطب الذي وضع من قبل في المدفأة ثم تذهب لإعداد صينية مع مشهيات مختلفة. ثم بحث بعد ذلك عن شموع حتى يخلق ضوئها الصغير جواً مبدعاً.

تصور شفتيها الورديتين على كأس الشراب وعيونها الرماديتين تعكسان نار الحطب وشعرها الأشقر اللامع... انتزعت هذه الأحلام ابتسامة سعيدة من شفتيه.

دوى جرس الباب وقفز "أوليفر" على قدميه.  
- سافتح أنا يا "ليلة"!

لم يشعر الرجل قط بأنه شاب قوي وسعيد مثل الآن. ابتسم وهو يفتح الباب، لكنه ظل مذهولاً لما رأى أن "مادي" ليس بمفردتها. اخترقت عيناهما البراقتان وابتسمت لها المليئة بالاعتذار قلبها مباشرة...

كانت "تيريزا" تنظر إليه وهي ممسكة بيده "مادي" وتتفتح عينيها السوداويتين.

لقد طلبت "مادي" في الدقيقة الأخيرة من "دوتي فرون فلتر" الإذن باصطحاب "تيريزا". لماذا؟ لقد اتبعت "مادي" غريزتها واعتقدت أن "أوليفر" سيسعد بذلك. لكنها تندم الآن على أنها لم تخبره. لقد قرأت في عينيه مجموعة من التعبيرات المتتالية وإذا ظلت أنها رأت بعض الإحباط فإنه من الواضح أنها أخطأت. ثم لاحظت جرح شفتها.

- ماذا حدث لك؟

- اصطدمت بباب. إيه "تيريزا" إنني سعيد لرؤيتك.  
إذا كان قد شعر ببعض الإحباط فإنه قد اختلف. مرر "أوليفر" يده على شعر الطفلة المضفر.

- هل أديت حركة الساقين كما طلبت منك؟

- لا، لا يوجد حمام سباحة بمنزلي.

قال أوليفر لخادمته بصوت منخفض :  
 - تعالى لأخذها بعد ربع ساعة ، اتفقنا ، وشكرا أيضا على ...  
 لم تستطع مادي الواقفة بعيدا فهم نهاية الجملة . لماذا يشكر  
 أوليفر خادمته ؟

تأكدت مادي من أن أوليفر كان رائعا مع الطفلة الجالسة على  
 كرسي تتابع درس السباحة .  
 لقد أظهرت تريزا منذ مقابلتها الأولى ثقة مدهشة إزاء معلمها .  
 قالت المرأة في نفسها : إذا كان يمكنني فقط أن أصبح مثلها .  
 ضحكت تريزا ضحكات عالية وأطاعت الأوامر ودست رأسها في الماء  
 و أخرجته مرة أخرى وغاصت وضررت بساقيها . قالت وقد بلغت  
 الإثارة ذروتها :  
 - هذا ممتع ! هل رأيتني أسبح ؟ سيمكنني السباحة عما قريب . إنه  
 أوليفر من أخبرني بذلك !  
 - لن يحدث هذا قبل أن أعلمك .  
 - اتفقنا ... أوه ! ها هي دليلة لابد أن أنهب لإعداد السلطة .  
 قالت الخادمة وهي تصطحب الطفلة :  
 - ستغيرين ملابسك في البداية .  
 انصرفت الفتاة الصغيرة . نظر أوليفر . إلى مادي . قال معلنا  
 بعد لحظة من الصمت ليقطع حاجز التوتر السائد بينهما :  
 - والآن يا مادي جاء دورك .  
 سألته برثاء :  
 - ألم نبدأ بالحمام الساخن ؟  
 - لا أريد أن تتضايقي . هيا ، تعالى .  
 أطاعته مادي وجلست على حافة حمام السباحة وحركت قدميها .  
 وقف أوليفر أمامها . عضت شفتها السفلية وأطلقت صرخة عندما

- هل أحضرت لباس البحر الخاص بك ؟  
 فتحت الطفلة حقيبة صغيرة من البلاستيك .  
 - نعم ، ومادي أيضا . إنها هي التي منحتني هذه الحقيبة .  
 - عظيم . مادي تعرف الطريق وستصطحبك للتغييري ملابسك لكن  
 أولا ... دليلة ؟

ظهرت دليلة في الحال . تولى أوليفر التقديم ولاحظت مادي أن  
 الخادمة تكلمت بنبرة رقيقة وودية مع الطفلة لدى التحدث معها .  
 سالت تريزا باستغراب :

- هل هذه أمك ؟  
 أشار سؤالها ضحكات الجميع . أوضح أوليفر أن دليلة تعنى به  
 دون أن تكون أمه .

- أفهم هذا . أنا أيضا لم يعد لي أم لكن دوتي تعنى بي وتسمح  
 لي بصنع الجاتوهات في مطبخها .  
 تعجبت دليلة بإعجاب :

- أوه ! هذا رائع . ساعد العشاء . ربما يمكنك أن تساعديني في  
 إعداد السلطة ؟

سالت تريزا مادي :

- هل ستبقين للعشاء ؟  
 تدخل أوليفر قائلا :

- نعم . جهزت دليلة المكرونة .

- أوه ! كم أبغى علي أن أعود في حمام السباحة أولا .  
 مadam ينبعي على أن أعود في حمام السباحة أولا .

- اعتقد أنها ستكون فكرة طيبة لأن تواصلي الدرس مدة ربع ساعة  
 بعد أن تساعدي دليلة .

اصطحبت مادي الفتاة الصغيرة . بمجرد أن ابتعدتا عدة خطوات

في البداية لكن مع التعود ستررين أنه لا يوجد أي خطأ ولكن تعبر عن هذا الإحساس أي اهتمام.

صاحت قائلة :

- هذا سيء جداً ! هذا أسوأ من كل ما يمكن تخيله !  
- أسوأ ؟ لماذا تقصدين ؟ فسري لي هذا الأمر .

انطوت على نفسها فجأة لأن عقدتها القديمة تملكتها مرة أخرى وصممت .

ادرك أوليفر تغير موقفها ورأى عدم جدوى إصراره ثم قال متنهداً :  
- حسناً ، يكفي هذا اليوم . لنخرج الآن .

صعدت مادي - التي تشعر بالخزي يصل إلى قلبها - إلى السلم الحديدية ببطء . لماذا لم تستطع هزيمة نفسها ؟ هذا أمر مثير للرثاء حقاً .

قالت بخجل وهي تجلس :

- عفواً يا أوليفر . حاولت لكنني لم أستطع . أرى أنك غاضب .  
- لا يا مادي . لست غاضباً . لا الومك على خوفك من السباحة في الماء لكنني أسف لأنك لم توضحي لي أسباب خوفك . أتفهمين هذا ؟ لا يمكنني مساعدتك إذا لم تثق بي .

لـ أوليفر - برقـة - المنشفة حول كتفـي مادي وجذبـها نحوه .  
احسـت بقلـبها ينبعـض بقوـة حينـما كانت تحـملـق إـلى قطرـات المـاء التـي تـنسـدلـ على جـذعـ أولـيـفرـ بـيـطـهـ . مـالـ عـلـيـهـ وـطـبـعـ قـبـلـهـ عـلـىـ جـبـهـهـ .

قال ملاحظـاـ وهو يرفعـ ذـقـنـهاـ باـصـبـعـهـ :

- إـيهـ ، لا تـنـبـطـيـ عـزـيمـتكـ . لـقـدـ وـعـدـتـكـ بـأنـ أـعـلـمـ السـبـاحـةـ وـسـالـقـمـ  
بـوعـدـيـ لـنـ يـكـونـ الـأـمـرـ سـهـلـاـ لـكـنـ لـنـ اـسـتـسـلـ بـسـهـوـلـةـ . مـاـ كـنـتـ  
لـاـشـارـكـ فـيـ الـأـلـعـابـ الـأـلـيـمـبـيـةـ قـطـ إـذـاـ لـمـ أـكـنـ مـصـرـاـ عـلـىـ ذـلـكـ .  
لـمـ تـجـرـؤـ عـلـىـ رـفـعـ عـيـنـيـهـ لـكـنـهـ رـأـتـهـ يـبـتـسـمـ .

أمسـكـهـاـ مـنـ خـصـرـهـاـ .  
قالـ وـقـدـ تـضـايـقـ فـجـاءـ :

- هـيـاـ ، لـنـ أـؤـذـيـكـ . ضـعـيـ يـدـيـكـ عـلـىـ كـتـفـيـ وـاقـفـرـيـ ...ـ لـاـ تـخـافـيـ .  
كانـ غـاضـبـاـ مـنـهـاـ فـقـدـ بـدـاـ هـذـاـ وـاضـحـاـ تـمـاماـ . اـجـتـاحـهـ الـإـحـبـاطـ  
عـنـدـمـاـ وـضـعـتـ يـدـيـهـاـ عـلـىـ كـتـفـيـ أـولـيـفرـ وـحاـوـلـتـ التـعـودـ عـلـىـ هـذـاـ  
الـاتـصـالـ الـقـرـيبـ بـيـنـهـمـاـ .  
- وـالـآنـ اـتـبـعـيـنـيـ .

لمـ يـعـدـ أـمـامـهـاـ أـيـ اـخـتـيـارـ . تـرـكـتـ عـيـنـاهـاـ عـلـىـ ذـقـنـهـ عـنـدـمـاـ أـرـغـمـهـاـ  
دونـ قـوـةـ - عـلـىـ الدـخـولـ فـيـ المـاءـ . لـمـ يـتـخلـ عـنـ مـسـكـتـهـ لـخـصـرـهـاـ .  
عـرـفـتـ دـوـنـ أـنـ تـنـظـرـ إـلـيـهـ أـنـهـ غـيـرـ سـعـيـدـ بـتـرـيـدـهـاـ .  
- وـالـآنـ يـاـ مـادـيـ أـرـيدـكـ أـنـ تـثـنـيـ رـكـبـتـيـ حـتـىـ يـصـلـ المـاءـ إـلـىـ عـنـقـكـ .  
- أـولـيـفرـ ...ـ

تصـلـبـتـ سـاقـاهـاـ مـنـ الـخـوـفـ . لـمـ يـعـدـ فـيـ إـمـكـانـهـاـ أـنـ تـأـمـرـهـمـاـ .  
- المـجهـودـ يـاـ مـادـيـ ...ـ

اشـاعـ هـذـاـ الصـوـتـ الـقـوـيـ وـيـدـاهـ الـمـسـكـتـانـ بـهـاـ قـوـةـ بـدـاخـلـهـاـ لـمـ تـقـنـ  
مـرـةـ أـنـهـ قـادـرـ عـلـيـهـ . أـغـمـضـتـ عـيـنـيـهـاـ وـلـنـتـ رـكـبـتـيـهـاـ .  
- حـسـنـاـ ...ـ اـغـلـقـيـ فـمـكـ الـآنـ وـاـتـرـكـيـ المـاءـ يـصـدـعـ حـتـىـ شـفـتـيـكـ . اـغـلـقـيـ  
فـمـكـ جـيـداـ .

حاـوـلـتـ مـادـيـ . حـاـوـلـتـ عـبـثـاـ أـنـ تـقـنـعـ نـفـسـهـ بـاـنـهـ لـاـ يـوـجـدـ مـسـتـحـيلـ  
لـكـنـ الـأـمـرـ كـانـ شـاقـاـ عـلـيـهـ . اـعـتـدـتـ وـهـيـ تـصـرـخـ مـنـ الـخـوـفـ . أـرـادـتـ  
الـهـرـوـبـ مـنـ حـمـامـ السـبـاحـةـ لـكـنـ أـولـيـفرـ اـحـتـجزـهـ بـيـنـ ذـرـاعـيـهـ حـيـنـماـ  
كـانـتـ تـخـبـطـ كـالـجـنـوـنـةـ . ثـمـ خـارـتـ قـوـاـهـاـ وـتـرـكـتـ نـفـسـهـ أـمـامـ جـذـعـهـ ثـمـ  
صـاحـ أـولـيـفرـ صـيـحةـ الـاـنـتـصـارـ :

- وـجـدـتـهـ ! إـنـهـ وـجـهـكـ ! نـعـمـ ، إـنـكـ لـاـ تـحـتـمـلـ تـأـثـيرـ المـاءـ عـلـىـ وـجـهـكـ  
يـاـ عـزـيزـتـيـ وـهـذـاـ أـمـرـ طـبـيعـيـ . يـكـرـهـ جـمـيعـ النـاسـ تـقـرـيـبـاـ هـذـاـ إـلـحـسـانـ

قالت متعلمة :

- نعم ...

ربت كتفها واضاف بصوت واثق :

- في المرة القادمة التي ستاتين فيها عليك أن تضعي أمرين في رأسك : الأول هو أن تثق بي والأمر الثاني هو أنك تاتين هنا للعمل . مفهوم هذا .

نظرت إلى وجهه وتيقنت من وسامته ومن الإرادة الحديدية التي تتلا لا في عينيه .

- هناك شيء آخر ... في المرة القادمة ينبغي عليك أن تاتي ... بمفردك .

- اوه ... ! اعتقدت أنه سيسعدك أنني اصطحبت "تريرا" .

- أحب هذه الطفلة كما أنتي سعيد بوجودها هنا . لكن كل شيء له وقته ومكانه ! درس السباحة ليس تسلية ولكنه عمل . عندما أعطي درسا فإنني أخصص نفسي له تماما . علاوة على أنه ... أصبح صوته همسا . اكتشفت في عينيه وميضاً أسرها جدا حتى إنها لم تستطع إبعاد عينيها عنه .

- وعندما أرغب في أن أكون بمفردي مع امراة فإنني لا أحتاج إلى أن تصطحب فتاة صغيرة في السادسة من عمرها حتى لو كنت عاشقا لهذه الطفلة . مفهوم ؟

خفضت رأسها بإشارة إلى موافقتها . مال عليها وقبلها . توترت لكنه اعتدل في الحال .

قال ملاحظا :

- لا يعتبر هذا نجاحا بالنسبة للبداية . ما رأيك في التجربة الثانية ؟

ادركت حينذاك أنها لا ترغب شيئا في هذه الدنيا سوى هذه القبلة .

- نعم ، أرجوك ، لكن ... بحرص .  
كرر كلمتها :  
نعم ، بحرص .

اغمضت عينيها وكانت تفقد وعيها من السعادة . إنها لم تشعر بحلاوة مذاق هذه القبلة من قبل مع أي رجل .  
تضاريق أوليفير من شفته المجرورة لكن "مادي" كانت تعلم أنه لابد له أن يقبلها بهذه الرقة المتناهية .  
إذا كانت هذه اللحظة لا تنتهي أبدا ! لكن لا يوجد أي شيء خالدا .  
أعادها صوت مؤثر وعميق إلى وعيها ونزل عليها كالدش البارد وعادت إلى الحياة بعد لحظة .

- ماذا ... هنالك ؟  
قال أوليفير بحزن :  
- حسنا يجدر بك أن تاتي بمفردك في المرة القادمة .  
- أقصد ...  
- أعلم .

دفع خصلة شعرها برقة خلف اذنها وتنهد ثم ابتعد عنها .  
- ها هي "ليلة" قد أنت . إنها التي كانت تخفي ...  
وصل صوت "ليلة" إلى مسامعها بقوة شديدة وواضحة أيضا .  
جلت "مادي" صوتها وبدأت تضحك :  
- يا لها من مغنية رائعة !

- نعم ... كانت مهنتها مطربة عندما كانت شابة وقبل زواجهها .  
لابد أنها توقفت عن عملها وكانت خسارة حقيقة .

قالت "مادي" بإعجاب :  
- لا يوجد ما يمنعها من أن تواصل الغناء مرة أخرى .  
احست "مادي" برعدة شديدة وهي تجفف نفسها بمنشفتها :

اقترح 'أوليفر' في الحال :

- ننجد الآن ستشعررين بالبرد . هناك نار في المدفأة .  
احاطت كثيفها بذراعيه ولم تجد 'مادي' الشجاعة الكافية للتخلص من  
مسكته . لكنها كانت مدركة أن هذا الوضع يمثل خطورة عليها . لقد  
قطعت 'ليلة' عليهم اللحظة المميزة بغنائهما المفاجئ الذي يشبه ماء  
ساخنا سكب على وجه نائم .

\* \* \*

- هل 'أوليفر' صديقك الصغير ؟

طرحـت 'تريرزا' هذا السؤال وهي تلعب بعقل حبيبـتها . القـت 'مادي'  
عليـها نـظرة دـهـشـة . إنـها سـتعـودـ بالـبـنـتـ الصـغـيـرـ إـلـىـ الـاسـرـةـ التيـ  
تـتـبـنـاـهاـ وـكـانـ الجوـ مـفـلـماـ جـداـ فـيـ السـيـارـةـ لـكـيـ تـرـىـ تـعـبـيرـاتـ وجـهـهاـ .  
ـ بـالـتـاكـيدـ لـاـ !ـ يـاـ لـهـاـ مـنـ فـكـرـةـ غـرـيـبةـ !ـ

- لقد قبلـكـ .

تعـجبـتـ 'مـادـيـ'ـ وـهـيـ تـضـحـكـ مـرـتـبـكـةـ :

- 'تريرـزاـ'ـ !ـ

- نـعـمـ ،ـ لـقـدـ رـايـتكـ .

- أـوـهـ !ـ

- تـعـلـمـنـاـ أـخـتـيـ فـيـ التـبـنـيـ قـيـكيـ فـرـونـ قـلـتـ لـدـيـهاـ صـدـيقـ صـغـيـرـ .  
لـقـدـ أـخـبـرـنـيـ هـيـ بـذـلـكـ .

- حقـاـ ؟ـ كـمـ عـمـرـ 'ـقـيـكيـ'ـ ؟ـ

- إـنـهـاـ فـيـ السـادـسـةـ عـشـرـةـ .ـ إـنـهـاـ أـكـبـرـ مـنـ بـعـشـرـ سـنـوـاتـ ...ـ عـنـدـمـاـ  
أـبـلـغـ السـادـسـةـ عـشـرـةـ هـلـ سـيـكـونـ لـيـ صـدـيقـ صـغـيـرـ ؟ـ

- بـالـتـاكـيدـ يـاـ عـزـيزـتـيـ .ـ لـكـنـ ...ـ 'ـأـولـيـفـرـ'ـ مـجـرـدـ صـدـيقـ .

قالـتـ الـبـنـتـ الصـغـيـرـ وـهـيـ تـهـزـ رـاسـهـاـ :

- لـقـدـ قـبـلـكـ مـثـلـ الصـدـيقـ الصـغـيـرـ .

انـفـجـرـتـ 'ـمـادـيـ'ـ فـيـ الصـدـحـكـ رـغـمـاـ عـنـهـاـ .

- يـبـدوـ أـنـكـ تـلـمـيـنـ بـالـأـمـرـ ...ـ مـنـ أـخـبـرـكـ بـهـذاـ ؟ـ

قالـتـ الطـفـلـةـ بـنـدـمـ :

- لـاـ يـوـجـدـ أـحـدـ بـعـيـنـهـ .ـ عـنـدـمـاـ يـتـبـادـلـ اـثـنـانـ قـبـلـةـ عـلـىـ شـاشـةـ

التـلـيـفـيـزـيـوـنـ كـانـتـ الـخـالـةـ 'ـكـارـلـيـ'ـ تـغـيـرـ الـقـنـاةـ .

اسـنـدـتـ 'ـتـرـيرـزاـ'ـ رـاسـهـاـ إـلـىـ مـسـنـدـ السـيـارـةـ وـتـنـهـدـتـ قـائلـةـ :

- كـنـتـ أـحـبـ أـنـ يـكـونـ 'ـأـولـيـفـرـ'ـ صـدـيقـيـ لـكـنـيـ مـازـلـتـ صـغـيـرـةـ .

سـالـتـهـاـ 'ـمـادـيـ'ـ :

- هـلـ تـحـبـيـنـ كـثـيرـاـ ؟ـ

- أـهـ أـنـعـمـ .ـ إـنـهـ مـدـهـشـ حـقـاـ .ـ أـحـبـ 'ـلـيلـةـ'ـ أـيـضاـ .ـ إـنـهـ تـغـنـيـ بـشـكـلـ

رـائـعـ لـكـنـهاـ تـنـادـيـنـيـ بـ'ـصـغـيـرـتـيـ'ـ .ـ لـمـ اـعـدـ طـفـلـةـ صـغـيـرـةـ ...ـ هـلـ تـحـبـينـ  
'ـأـولـيـفـرـ'ـ ؟ـ

- بـالـتـاكـيدـ يـاـ عـزـيزـتـيـ فـقـدـ أـخـبـرـتـكـ بـهـذاـ .

- لـاـ ،ـ غـاـيـةـ مـاـ فـيـ الـأـمـرـ أـنـكـ قـلـتـ لـيـ :ـ إـنـهـ صـدـيقـ .

- سـتـكـونـنـ وـكـيـلـةـ نـيـابـةـ مـدـهـشـةـ ...ـ لـكـنـيـ أـحـبـ 'ـأـولـيـفـرـ'ـ كـثـيرـاـ .

- وـلـهـذـاـ قـبـلـتـهـ ؟ـ

- 'ـتـرـيرـزاـ'ـ !ـ

قالـتـ الطـفـلـةـ بـإـصـرـارـ :

- بـلـىـ ،ـ لـقـدـ قـبـلـتـهـ وـقـدـ رـايـتـكـ !ـ

بدـاتـ تـغـلـقـ وـتـفـتـحـ حـقـيـبـتهاـ بـصـوـتـ يـثـيرـ الضـيـقـ .ـ تـنـهـدـتـ 'ـمـادـيـ'ـ  
أـمـامـ هـذـاـ إـلـصـارـ وـاعـتـقـدـتـ أـنـ 'ـأـولـيـفـرـ'ـ وـ'ـتـرـيرـزاـ'ـ لـدـيـهـمـاـ أـشـيـاءـ مـشـتـرـكـةـ .

\* \* \*

الإصرار يبدو من خصائصه . لكن جهاز الرد الآلي تلقى الرسالة التي سمعتها في هدوء :

- اوه ... ! مادي اليوم السبت . هل أنت موجودة ؟  
قفزت مادي على قدميها وأمسكت السماعة . كان الصوت لـ «جودي» وتعرفت عليه .  
- نعم ، أنا موجودة .

- كم أنا مسرورة لذلك ! لقد سالت نفسك : هل أصبح تليفونك أخرين إلى الأبد ؟ اسمعي ، إذا كان لا يمكنني المجيء فلن أسألك أبداً . إنه ليس خطئي إذ تقرر كل شيء في لمح البصر . علاوة على أنني حاولت ولا أدرى كم مرة حاولت التوصل إليك .  
توقفت «جودي» لتلتقط أنفاسها واغتنمت مادي هذه الفرصة لتسالها :

- عم تتحدىين ؟ إذا كان لا يمكنني المجيء ... إلى أين ؟  
- الفكرة رائعة من وجهة نظري . إنها «ميشيل» مشروعه الذي كان ي العمل فيه مع «كليف» منذ فترة طويلة وسنحتل بهذه المناسبة . بما أن «ميشيل» ينبعي أن يقدم هذا المشروع إلى «طوكيبو» قريباً فقد قررنا إلا ننتظر عودته . وستقام الحفلة في هذا المساء ! لا يوجد مشواة فالامر عادي جداً ولا نرغب في أن ندفن أنفسنا طوال الليل .  
لقد طلبنا كل شيء من صاحب المطعم ... لم أتوقف عن الاتصال بيمينا وشمالاً لأجمع الأصدقاء . هنا !

- اسمعي ، أنا ...

- مادي ، هل كنت تجرين ؟ إنني أسمع انفاسك !  
- أنا ... إنه أنت يا «جودي» من فعلت هذا بي بسبب تحديك بهذا الشكل .

أجد صعوبة في ملاحظتك . اتفقنا . سأتي . في أي ساعة ؟

«مادي» ، أين ذهبت بحق السماء ؟ هل هذه مزحة ؟ وفقاً لكلام «ليلة» فإنك اتصلت لتلغي درسك . ماذا يعني هذا ؟ إنني أطلب تفسيراً .  
جعلها الضيق البادي في صوت «أوليفر» ترتجف بشدة . كان الغضب واضحًا على الرسالة المتروكة على جهاز الرد الآلي وكان هذا مفهوماً جداً . لم تكن مادي تعرف السبب الذي جعلها تؤجل درسها إلا إذا لم تكن مستعدة لمواجهة «أوليفر» وجهها لووجهه . لم تكف الأحلام السعيدة عن مطاردتها منذ مقابلتهم الأخيرة . لم يشعرها تستثن ذهنها هذا باي راحة .  
كانت ستفضل جهاز الرد الآلي عندما دوى جرس التليفون . تملكتها رعدة لا مبرر لها .

تركت الجهاز يسجل الرسالة . إنه «أوليفر» بالتأكيد يحاول الاتصال بها . لم تخطط مادي لأن صوته الغاضب دوى «مادي» ، أعلم أنك موجودة بمنزلك فلقد أخبرني «لاري» بأنك عدت . أعلم أنك تسمعيني ... ماذا هناك إذن يا «مادي» ؟ لماذا تلعبين لعبة التخفي هذه ؟  
إذا لم تحاولي أن تهزمي نفسك الآن فإنه لن تنجحي أبداً ولن تتعلمي السباحة .  
يا إلهي ! ماذا أقول لك أيضاً ؟ لا تحاولي الفرار مني فلن تتمكنين من ذلك ! .

لم دوى صوت غلق السماعة ثم ساد الصمت .  
بعد لحظة من التفكير أمسكت المرأة الدمية «تشين - تشين» ولقتها على ذراعها . حملق رأس التنين الوردي إليها بعدم استحسان واضح . إنها لم تجد أي شيء تقوله له .  
دوى زين التليفون مرة أخرى . تسمرت مادي في مكانها ومررت عليها ثوان . هل هذا «أوليفر» الذي يتصل بها مرة أخرى ؟ هذا

حضورها وارتدانها ملابس مثيرة ؟

صاحب صوت تشين - تشين :

- يا صغيرتي ستسعد صديقتك إذا ارتدت الفستان المزركش الذي يناسبك تماما .

كانت الضحكة المخنوقة هي رد فعلها الوحيد . إنها لا تشعر باستعدادها لإغواء أي رجل مهما كان حتى لو كان هذا الرجل الذي ستخرجه چودي من قمقمه . لو لم تكون تخشى دخول أوليفير إلى منزلها بشكل مفاجئ لخللت ساكنة في مكانها .

أعادت الدمية تشين - تشين إلى مكانها . دون أن تعرف السبب أحسست بعدم الارتياح . مازال الوقت مبكرا على ارتدائها للفستان لكن لماذا لا تفتتح في دولابها ؟ إنها لم تشتري فستانها جديدا منذ وقت طويل . تملكتها الإحباط . لم يعد الفستان المزركش يروق لها والبقية ... إنها ترغب إذن في ماكياج جديد لم تظهر به من قبل . علاوة على أنها إذا خرجت للقيام بجولة شرائية فهذا سيبعدها عن منزلها وعن تليفونها وعن مجيء أوليفير المحتمل إلى منزلها !

٥٠

- أوه ! هذا مرعب !

فتح ميشيل هربر الباب لـ مادي ولم يستطع أمام جمالها أن يكتم صبيحة ذهوله . كان يبدو مثل الطيار الذي اكتشف طائرا من نافذة الطائرة !

تعلمت مادي .

- شكرًا يا ميشيل . لم أكن أتوقع هذا منك على الأقل ... لو كنت أعلم هذا لارتدت ملابسي بشكل مختلف .

لقد خشيت مادي وصول أوليفير المفاجئ إلى منزلها . إنه قادر على الظهور فجأة واصطحابها بالقوة إلى منزله . لكنها لهذا ستصبح في مأمن ... أجابتها چودي :

- في السابعة والنصف تقريبا .

فكرة مادي بسرعة . الترس بيبدأ في السادسة ومن ثم ينبغي أن تنصرف مبكرا من منزلها .

قالت مقتربة :

- اسمعي ، ساتي مبكرة للمساعدة .

- تاتين مبكرة للمساعدة ؟ لا يوجد حاجة للمساعدة فلا يوجد أحد مخصوصا بعينه لذلك لأنها ليست حفلة كبيرة ولكنها مجرد حفلة صغيرة .

- أعلم هذا ! هل تناسبك الساعة السادسة ؟ كانت حفلات چودي وـ ماديك الناجحة دائمًا تجمع انساناً قادمين من بعيد أحيانا .

- عظيم يا عزيزتي . أحضرني عرائسك . ربما تنجحين في جذب التومنين بعيدا عن البو فيه . ارتدي ملابس مثيرة فلدي مفاجأة مدهشة من أجلك ...

- لكنك تقولين : إنها مجرد حفلة صغيرة .

- نعم ، لكن ... ثقي بي . حسنا ، إلى اللقاء .

مع المبالغة التي تتسم بها وضعت چودي السماعة بسرعة . أخذت مادي المبتسمة تعيد تفكيرها لتتخمن حقيقة هذه المفاجأة المدهشة . إنها عبارة عن لقائهما بمدعوه في الحفل دون شك . ياله من شاب مسكون ! هل عرف أن چودي أعدت له مقابلة ؟ ومع من ؟

امسكت مادي عروستها بتكتسيرة صغيرة . لماذا تصر چودي على

حضرت عرائسك ؟ والدمية تشنن - تشنن ؟ هل يمكنني اللعب معها ؟  
- لا ، إنني أنا معلمتها .  
- أوه ! أرجوك ...

كانت مادي تعشق التوومين المتشابهين تماماً مع راسيهما الشقراوين وخدوهما المتوردة وعيونهما الكبيرة . حمداً لله لأنهما لم يتأثراً بفستانها الجذاب واطمأنت بداخلها لذلك . أدركت حينذاك أنها نسيت - للمرة الأولى في حياتها - عرائسها .

- اسمعاً أيها التوومان ، ساعلمكم صنع العرائس . ما رايكم ؟ هل لديكم جورب ناقص ؟  
نعم ... نعم ...

اصطحبتهما مادي إلى حجرتهما وقضت ساعتين لذيتين في العمل مع الصوف والورق والرسم . ثم قبلتهما وتابعت لواجهة جموع المدعويين .

كانت واقفة في منتصف السلالم عندما اكتشفت خيالاً مالوفاً يصافح "جودي" .

لا يوجد أحد في العالم باسره يمتلك هذا الجسم !  
ارادت أن تصعد درجات السلالم بسرعة لكن ساقيها خارت قواهما .  
لقد راحا على آية حال .

صاحت "جودي" :

- أوه ! مادي هانت . خمني من أنتي ؟ أليس رائعاً ؟ أعلم أنك قابلته من قبل .

قال "أوليفر" :

- نعم ، لقد تقابلنا من قبل . هالو يا مادي ؟

- إنك يا عزيزتي المرأة الوحيدة في العالم التي لم تقدر رد فعلي .  
كدت أفقد عقلي من الإعجاب وليس من الخوف .  
مرر الرجل المطرقة التي يمسكها بيده اليمنى إلى يده اليسرى وأمسك مادي من كتفها ودخلها .  
- اتسمحين لي بأن أتبعك ؟ أريد أن أرى وجوه الحاضرين عندما ينظرون إليك .  
هيا ، تعالى لنبحث عن "جودي" .

يا لها من حماقة لأن تشترى مثل هذا "لياكياج" ! استدارت رؤوس الحاضرين نحوها !

غطى الفستان الأحمر ذو الدوائر البيضاء كتفيها . كان الحداء المتجلانس مع ملبسها له كعبان يبلغ طول الواحد منها خمسة سنتيمترات وهذا بدوره زاد من عقلمة الشعر المتجمع باعلى رأسها .  
كان هناك ضفائر شقراء تنسلد من الضفيرة حتى ظهرها .

- انظري ، جميع الحاضرين ...  
لقد أثار "ميشيل هربر" الفضيحة الحاضرين وهذا زاد من اضطراب مدعوته . لقد دخل بعض الأشخاص إلى شقة "ميشيل" ومنهم شريكه "كليف دوسون" الذي كان واقفاً أعلى السلالم ويمسك إكليلًا من الورق الملون . جلس على الدرجة الأخيرة وتأمل مادي بعينيه وهو فاجر فمه . تدحرجت مطريقته والتقطتها زوجته "دويس" لكنه لم يتحرك .  
قال "ميشيل" مؤكداً باقتناع وهو يستدير نحو مادي :

- أترین ؟

وصلت "جودي" بالقرب منهما وهي مشرقة .  
- إنك مدحشة يا عزيزتي .  
اقرب منها حينذاك التوومان "هربر" بحماسهما المعتاد .  
- مادي ! لماذا تأخرت ؟ أخبرتنا أمّنا إنك ستاتين للعب معنا . هل

- لم اكن اعرفها حتى هذا اليوم .

- اووه !

- اتيت هنا لأنها اخبرتني انك ستكونين هنا فانا لا احب  
الاجتماعات .

- اووه !

يا للهول ! فيما عدا هذه الكلمة لم تشعر "مادي" بقدرتها على إصدار  
أي صوت .

لم يجد ان "أوليفر" اهتم بفستانها . لقد ظل ساكنا مثل التوعمين  
 أمام هذا الفستان عاري الظهر ، وهذا ما ادهشها جدا . كان لابد ان  
 تكون صادقة مع نفسها . كم كانت تحب لأول مرة في حياتها ان يتظر  
 إليها رجل بإعجاب وكانت الصدمة .

هزت كتفيها بوقار مصنوع ونزلت الدرجة الأخيرة في السلم . لكن  
 هذه الهيئة المتشامخة التي حاولت تبنيها تلاشت عندما اكتشفت أنها  
 نسيت حذاءها ذا الكعب العالي في حجرة التوعمين .

قالت بقليل من الكرامة التي تبقت لها :

- حسنا ، إنك تعرف السبب الآن الذي دعاني لتأجيل درس السباحة .  
 كان يجدر بي ان اوضحه لـ"دليلة" لكن ...

- أكاذيب !

- غفوا ؟

- قلت : أكاذيب . لقد اتصلت في التاسعة صباحا وـ"جودي" لم تدعك  
 إلى حفلتها إلا بعد الظهر .

- كيف عرفت هذا ؟

- لأن "جودي" عندما دعنتي اخبرتني أنها ستتصل بك . "مادي" ،  
 الأكاذيب لا تفي في شيء !

القت عليه نظرة تحد واتجهت نحو البوفيه وقدماها عاريتان .

## الفصل الثامن

- "أوليفر" ...

كان هذا هو كل ما استطاعت "مادي" النطق به .

وقف أمامها واضعا يده في جيبه وقد بدا الود على وجهه . نظرت  
 "جودي" إليهما واحدا بعد الآخر وقد دهشت من رد فعلهما ورات أن  
 موقفهما يستحق - في نهاية الأمر - الاهتمام لكن لم يكن لديها الوقت  
 لذلك .

لكي تقطع حاجز البرود استخدمت قريحتها المعتادة :

- اووه ! انظروا إلى من أتي ؟ آل دنكان ! سأترك لـ"مادي" مهمة تقديم  
 أصدقائنا ولك يا "أوليفر" وسانذهب مباشرة لـ ...

تلاشى صوتها وسط الحاضرين لأنها قد ابتعدت . لم تعرف مادي  
 ماذا تقول ولم يجرب "أوليفر" اي شيء ليقيم حوارا طبيعيا .

نجحت "مادي" - بصعوبة - في إخراج صوتها :

- حسنا ... لم اكن أعلم انك تعرف "جودي" .

يكن يدور في ذهنها - المتأثر بالشراب الذي تناولته - إلا شيء واحد لا شيء يخيفها حتى الماء مثلما يخيفها "أوليفر". إذا سارت وراءه إلى منزله كما اقترح عليها فإنه ينبغي عليها أن تلاحظ الأحساس التي تحكم فيها بصعوبة . إذا لم تستطع احتواها فستقع الكارثة وستفسد حياتها إلى الأبد أو ستتغير على الأقل !

قال ملاحظاً بهدوء :

- "مادي" ، أتيت إلى هنا للبحث عنك . أمامنا قرارات لابد من اتخاذها ... ينبغي علينا أن نتفاوض ... هل سنتائين معك أو ينبغي على أن أحملك بالقوة ؟

قالت ساخرة :

- آه .. أريد أن أرى هذا . حاول ولو قليلاً أن تحملني بالقوة ! إن ميزة أن أكون كبيرة مثلما أنا الآن هي أنه لا يمكنك ...  
ـ (تعتقدين هذا ؟

رسم ابتسامة خطيرة على شفتيه . أحسست "مادي" بالخوف . هل شططت إلى بعيد لما تحدثه ؟

نظر "أوليفر" إليها من أخمصي قدميها حتى رأسها وكأنه يحسب وزنها وحصرها . ثم عرض عليها نتائج فحصه بتكتسيرة انتصار .

- لقد حملت أكبر وأثقل منك يا عزيزتي . إذا لم تخشبي جذب انتبه المدعون فإنني ساحملك مثل جوال البضاعة . عليك الاختيار : المشي على قدميك أو حملك على كتفي ؟

ارتسم الفزع على وجه "مادي" . لكنها تخيلت فكرة اختطافها بمشاعر مختلفة ثم عادت رجاحة العقل إليها مع قليل من الكرامة التي تبعت لها .

- يمكنني المشي . شكراً جزيلاً .

كان "أوليفر" يمتلك سيارة مرسيدس ذات غطاء يمكن رفعه . بما أنه

أسرع عدد لا يأس به من الموجدين إلى هناك ، مدّ ذراعها نحو كأس الشراب وابتلعته كلّه .

همس "أوليفر" في اذنها :

- الهدوء ! لابد أن يتم تناول الشراب على رشقات ولا يتناول كالدواء .

اعتبرضت ساخطة :

- اشرب على طريقتك وانا على طريقتي .  
يا لها من شجاعة لأن يتبعها حتى منزل أصدقائها هكذا ببساطة لمجرد أنها الغت درس السباحة . إنها لا تدين له بشيء . وإذا تصور أن ...

أمسكت "مادي" كاساً أخرى وابتلعتها .

- "مادي" ...

امسكت الكأس الفارغة ووضعها على المائدة .

- تعالى ...

قالت في نفسها : آه ، لقد غضب . حسنا ! لقد انتهت دروس السباحة ! .

إنها لن تذهب إلى منزله أبداً . أو على الأقل بمفردها لأنها إذا غامرت بالذهاب إلى هناك ...

انتزع "أوليفر" الكأس الثالثة من يدها بقوة ووضعها على المنضدة بعيداً عنها ، وأمسك يدها وحاول جذبها .

- تعالى إلى منزلي فإنك تدينين لي بتفسير جاد .

- لا ، لا أريد السباحة فشعري مجعد .

- لن نذهب للسباحة ولكن من أجل أن نتحدث . أريد أن أفهم ما يخيفك إلى هذه الدرجة .

أرادت أن تبدو عنيفة مثله حتى لو فعلت ذلك بدون سبب وجيه . لم

شمس، قائلہ

- لا يمكنك مواجهة هذا الشيء . لا يمكنك الاعتراف بهذه الصدمة التي يرجع تاريخ حدوثها إلى طفولتك و ...

- لا ، لا ! كان والداي متحفظين لكن كانوا غير قاسيين . كنت طفلتهما الوحيدة . كانوا طيبين ولم يعاملاني بشراسة قط . قط ! قط !

كانت يداً "أوليفر" مثل صوته جامدتين . امسكتها من كتفيهما لأن عصبيتها أخذت بعداً مقلقاً .

- «مادي»، هناك ألف طريقة لجرح طفل وتعريفينها تماماً... لا يدرك الولدان في أغلب الأحيان أنهما يشتبهان بعيداً ويجرحان إحساس ذريتهما، أرجوك، حاولي أن تذكري.

بداً لـ«مادي» فجأة أن الكرة التي تجرها في قدمها أصبحت خفيفة.

بدا لها أيضاً الاعتناف بسيطاً وأضحا.

• ٢١٥٦

- من الواضح انه لم يرد أن يخيفني . لم ترد هذه الفكرة بباله قط لكن ...

- استھنے کی

- أراد أن يعلموني السباحة لكن طريقة كانت سيئة . وفقاً لرأيه فإن كل الكائنات البشرية تعرف السباحة لدى ميلادها فهذا يبدو أمراً طبيعياً وسيراً عانياً الله . جعلني أقفز في الماء . حاولت ياً "أوليفر" أن أفكر في الله لكن كانت هناك أشياء مخيفة في الماء . استولى الخوف على ما أحسست بهذا الزيد الكريه الذي يحتك بساقي . دخلت المياه إلى أنفني وفمي وفقدت وعيي . لم أستطع التنفس كان هذا الزيد يغطي وجهي . وعندما ... وعندما ...

فنا، ساخته:

يمتلك مثل هذه السيارة الفارهة كان لابد له ماديًّا أن تسأل نفسها عنه وفكرت في فخامة منزله وفي دليلة وفي ملعب الجولف. ثم تجاءست وسألته :

- لماذا حكست لي أنك تبيع الأدوات الرياضية؟
- لأنها الحقيقة.

فتح لها باب السيارة وادخلها ثم لف حول المرسيديس ليجلس مكان السائق . بدلا من أن يدير المحرك تاملها بشدة :

— لماذا تتصرفين كحفلة؟  
— لم أعد حفلة.

- لا تفهمين إذن ابني لا انكر إلا في مساعدتك ؛ لم تخليه اي إرادة طيبة وضاعت كل جهودي عبثا ...  
صحيحة ضحكة مزبورة أذهبشتها .

ستطه و قائل

- الموقف كوميدي . تتصرفين بالفعل مثل هؤلاء الأطفال البؤساء الذين تعنتين بهم كل يوم . يمكنك التحاور معهم بواسطة عرائسك لكنني لا أجا إلى أي وسيلة من هذا النوع للتحاور معك . اخترقتها هذه الكلمات مثل السهم . اطلقت نوعا من التذمر بصوت متواتر لم تعرفه :

- لست مثلهم . لست طفلاً . لم أجاً قط ... قط  
عاد "أولئك" الكـرة بـقة شـديدة :

- لديك مشكلة ، أليس كذلك ؟ سالتك قبل ذلك : هل أسيئت معاملتك في أثناء طفولتك ؟ وأجبتني بأنه لم يحدث هذا . لكن هناك شيء يبيث لديك خوفا شديدا ... شيء لا بد أنه حدث لك عندما كنت صغيرة .  
ألا يبيث بأن هناك شيئاً فعلا .

لم تجده وحملقت إلى يديه المعقودتين على ركبتيها.

- الامر على خير ما يرام يا مادي . كيف انتهى هذا ؟  
 قالت بصوت منخفض :  
 - لم يعد في إمكاني تذكر هذا . هل لهذا أهمية ؟  
 - لا .  
 وأدار محرك السيارة .

\* \* \*

كان أوليفر في أثناء استماعه لـ مادي يتخيّل وضعها الذي لا بد أنها كانت عليه عندما كانت طفلة : تخيلها بضفائرتين على ظهرها وعينين رماديتين وساقين طويلتين . إنها لذينة حقا .

تملّكه الخوف من جراء فكرة العلاج الذي خضعت له حتى لو لم يكن لوالديها أي نية سيئة . طرد حزن قديم هذا الغضب من داخله بشكل مفاجئ .

أوقف المرسيدس أمام منزله ونظر إلى مادي التي لم تنطق كلمة واحدة طوال مسافة سيرهما . نزل من السيارة وفتح لها الباب .  
 - لقد وصلنا .

لم تتحرك مادي وهمست بصوت يكاد يكون مسموعا  
 - لا أشعر بأنني على ما يرام .  
 أمسكتها من ذراعها وساعدتها في الخروج من السيارة .  
 قال ناصحا :

- تنفسي بعمق وقومي بعده خطوات . يا إلهي لماذا لم تخبريني أنك تشعرين بتعجب في القلب ؟ ومع كل هذا الشراب الذي تناولته ! هل أكلت أي ساندويتش ؟  
 أكسيتها فكرة الطعام اللون الأخضر .

- ١٠٢ -

مرر أوليفر يده حول كتفيها وساندها حتى ياب الدخول . استندت إلى الباب حينما كان يدخل المفتاح في القفل . عندما تحرك الباب فقدت مادي توازنها قبل أن يلحقها رفيقها ويسكّها من ذراعها .  
 قال في نفسه : حمدا لله . لقد ذهبت دليلة لقضاء أمسيّة السبت في منزل اختها ولا تستطيع هكذا تأمل هذا المشهد المزعج .  
 كانت دليلة - كعادتها - تنام لدى اختها حتى تصطحبها في اليوم التالي إلى القدس .

- مادي ، أتريددين النوم هنا هذه الليلة ؟  
 هزت رأسها بالنفي على الرغم من أنه سال نفسه عن الطريقة التي يمكنه بها التخلص من هذا الموقف المحرج .  
 قال ناصحا لها :  
 - اعتقاد أنه ينبغي عليك أن تتناولى طعاما ، لابد الا تبقى معدتك خاوية . ساعد لك ... قليلا من المكرونة ؟  
 فتحت مادي عينيها المذعورتين وحملت يدها إلى فمهما وأسرعت إلى الحمام .  
 أطلق أوليفر المتضايق سبابا ومرر يده في شعره . ما الورطة التي أوقع نفسه فيها ؟

كل هذا من أجل الإسراع لنجددة فتاة خائفة . إنه احمق . وإذا لم ترد مادي أن تتحدث إليه فإنه لن يكلف نفسه هذه المشقة ! يا لها من رعونة ! كان يجدر به أن يحضر لها قهوة على سبيل المثال دون أن يطلب رأيها ولا يتحدث عن المكرونة .

ذهب إلى المطبخ واعد توسّت . ظهرت مادي بعد قليل وهي شاحبة مثل الميّة وضفيرة شعرها ملتحقة بجبهتها ونصف صابون الغسيل يظهر جليا على كتفيها .  
 سالها بلهفة :

عدلت رأسها قليلا .  
 - كنت محقا ... لقد تصرفت مثل الطفلة .  
 - لم أطلب قط مثل هذا الشيء .  
 - بلى يا أوليفر وقد تعرفت على خططي . لم تكون لدى الشجاعة  
 لمواجهة هذه التجربة الفظيعة أو قبولها . كان يبدو لي هذا  
 مستحيلا ...  
 خرجت الكلمات بسرعة من شفتيها كما لو كانت تقف متقدمة منذ  
 سنوات .  
 - تدرك أنهما والدائي ولم يكن لي أي عائلة أخرى . لقد أحبباني ولم  
 أرد أن أشوه صورتهما . إنهما لم يدركا أنهما يلقياني في النار ... لم  
 أدرك هذا إلا عندما بدأت العمل في المستشفى . فهمت حينذاك أنه ليس  
 خططي أنا ولكنه خطوئهما .  
 تركها أوليفر تعبر عن نفسها دون أن يقاطعها واقتفي بالریت على  
 ظهرها ليشجعها : « مادي » أميرة الحواديت الضعيفة والخائفة والتي  
 عاملها والداها بقسوة ! يا لها من صورة بشعة ! .  
 كيف دهش إلن من خوفها من الماء ؟ من أجل أن تختفي من نظرات  
 الآخرين ... تلك النظارات التي تهدد أمنها لجأت إلى الاختفاء وراء  
 عرائسها . يا لها من وسيلة جيدة للتعبير عما يخنقها ! كل ما كانت  
 تحتاج إليه هو شخص قادر على أن يؤكّد لها أنه لم يعد لديها ما  
 تخشاه سواء الماء أو المحيطين بها .  
 أدرك أوليفر رغبته في أن يكون هذا الشخص .  
 واصطل « مادي » شاكية :  
 - وحينذاك شعرت بعقدة الذنب الفظيعة ، فشكلي الجسماني الذي  
 يروق كثيرا للرجال بدا لي خطأ اعتبرت نفسي مسؤولة عنه .  
 ابتسم لها وأمسكتها من ذراعها .

- هل تقيّات الشراب ؟  
 أشارت برأسها بالإيجاب .  
 - لا بد أنك شعرت بتحسن كبير .  
 قالت معتذرة :  
 - لم اتناول إلا ثلاثة أقداح .  
 - نعم ولكن في ثلاثة دقائق فقط . اعتقادك أنك غير معنادة عليه .  
 اعترفت باضطراب :  
 - بالفعل . لا أعلم السبب الذي دعاني إلى الشراب .  
 خمن أوليفر خزinya ولم يعد يفكّر إلا في شعورها بالارتياح .  
 - لا يوجد شيء خطير . مع قليل من الشاي الذي تتعطّه و ...  
 أضافت بسعادة :  
 - والتلوست .

ملأت الرائحة الطيبة للخبز المحمص المطبخ . انتهت تحميص  
 الخبز بسرعة حينما كانا يتبدلان بضم كلمات .  
 - « أوليفر » ، إلا تعتقد أنك حمّصت الخبز بالقدر الكافي ؟  
 نظر إلى مدعوته . لقد تورّد خداتها الآن ولعنت عيناهما عن ذي قبل .  
 ففتحت فمهما وانطلقت ضحكة مخنوقة منها . بدا أوليفر يضحك هو  
 الآخر واهتزت كتفاه . وضع وعاء الزبد على المنضدة وادارها حتى  
 يقترب منها .  
 - « مادي » ، تعالى بالقرب مني .

لفروط دهشته اطاعت « مادي » أمره والقت بنفسها بين ذراعيه . أحس  
 أوليفر في هذه اللحظة انها قد خلقا لبعضهما البعض . ارتعشت  
 « مادي » قليلاً وأحس أوليفر أن ثبضات قلبه تتزايد بغير انتظام . ظل  
 ساكتاً وانتظر حتى يتلاشى التوتر بينهما لينعم بحلوة هذه اللحظة  
 التي ظهرت فجأة .

استطاعتني متابعته من balkon . سمعت كارول الماء يتدفق وجرينا إلى هناك . أخرجته من الحمام في الحال لكن رئتيه انسدتا بالإضافة إلى كسر في الجمجمة ومات بعد ثلاثة أيام .

استدارت مادي - بتلائيني - نحو النافذة المطلة على الحديقة و Xenia أوليفر فكرتها :

- كنت أسكن وقتها بيفريلي هيلز . بعث المنزل واحتربت هذا المنزل بسبب كارول . أملت أن تنعم بلعب الجولف أو أي رياضة أخرى . لم يمكنها أن تخلص قط من فكرة كونها المسؤولة عن موت طفلنا . لم يكن هناك ما يمكنها أن تفعله . طلبت الطلاق ذات يوم وانفصلنا ... فلنت أنه قد يمكنها أن تنسى الحادثة إذا لم ترني ويا له من فشل !

همست برقة :  
- أوليفر .

نظر أوليفر إليها باهتمام ثم بمودة . قبلها برقة . لم تعد الأنسنة جوردون هذه المرأة الباردة والمحفظة لكنه يمسك مادي الرقيقة والمحبوبة . شعر ببرقة . لقد حلم بأن يمسكها بين ذراعيه لكنه يشعر بالخزي لأنه قد دبر الأمر حتى يوصلها إلى هذه الحالة . لم يستطع أن يتحمل طويلا الإحساس الفظيع بأنه كذب عليها إلى حد ما .

إن المجهود الذي لابد أن يبذله حتى يتحكم في نفسه جعله يرتعد . قال متذمرا وهو يسحب يديه من على كتفيها :  
- مادي .

وضح الإبراك ببطء في عيني المرأة . لقد استطاع أن يرى فيما الدهشة ثم الإضطراب . حاول أن يفسر برقة متناهية :  
- عزيزتي ، إنك مازلت متأثرة . مازال كل منا متأثراً للآن بدأ كرمك ورفقك كالنجدة التي القيت عليها بعبي . كنت مخطئا . ينبغي إلا استغل هذا ...

فتحت فمهما ثم أغلقته . لم ترد أن تناقش لأنها لم تثق بنفسها . هذا التأكيد جعل أوليفر يعاني كثيرا ولكن هذا لن يغير قراره في

- لكنك لم تعودي تفكرين فيها ، أليس كذلك ؟  
خففت رأسها واحتكت جبهتها بخد أوليفر .

- كنت أعلم في قراره نفسي أنني مخطئة . لكن في عقلي ... لم أقدر مجامالت الآخرين .

كنت أريد في بعض الأحيان ...

- ماذا تريدين ؟ جسدا آخر ووجهها آخر ؟ هذه الأمينة تجول بخاطر الكثرين ذات يوم . لكن الله منحك الجمال ولابد أن تعرفني بنعمة الله عليه .

مرر يده خلف رقبتها وجذب وجهها نحو وجهه .

- لا ترفضي هبة السماء يا مادي ، لا ترفضيها ... لفروط دهشته الكبri وجد نفسه يكمل حديثه :

- مثلما فعلت كارول ....  
- كارول ؟ زوجتك ؟

نعم ، كانت جميلة هي الأخرى . كانت عارضة أزياء لدى أكبر بيوت الأزياء قبل زواجنا . كانت تهتم كثيرا بجمالها ! لكن بعد موت طفلنا لم يعد لأي شيء أي أهمية بالنسبة لها . كان واضحا أنها تحاول تدمير نفسها حتى الموت . رفضت تناول الطعام أو الخروج أو التحدث ... وفي النهاية اصطدمت بعمود كهربائي وعثرت على الموت الذي تمنته .

مررت مادي لسانها الرطب على شفتيها الجافتين . اشعرتها اعترافات أوليفر بالفزع .

- وأينك ؟ كيف حدث له ما حدث ؟  
أدرك أوليفر أنه لم يكن في استطاعتتها قبل ذلك أن تسأل هذا السؤال دون أن تستعين بدميتها . لكنه راي كل عطف العالم في عينيها الحزينتين .

- حادثة ، حادثة حمقاء . كان چوزيف في الحديقة يركب دراجته . ذهب مباشرة إلى حمام السباحة ولم نر أي شيء . لم يكن في

شيء . من أجل صالحها يلزم عليهما أن يختصرا هذه اللحظة المؤثرة.

قال بثقة :

- سأصطحبك إلى منزلك .

لم خف عن عينيه نحو قدمي المرأة وسالها :

- أين حذاؤك ؟

- تركته في غرفة التواعين . إذا كان يمكنك أن تصطحبني إلى منزله حتى أذهب للبحث عنه ثم استقل سيارتي واعود إلى منزلي بطريقتي .

ساد الصمت بينهما طوال المسافة . ظن أوليفر أن هناك شيئاً أفسد ما بينهما .

نظر أوليفر إلى مادي وهي تصعد درجات السلالم ثم اختفت . كان يجب عليه أن يصطحبها لكن كان يلزم عليه أن يحثها ويتمشى لها ليلة هادئة وينطق ببعض كلمات الاعتذار أو التوضيح لكن لم يكن لديه الشجاعة . كان من المفترض أن يمسكها من ذراعيها ولا يتركها ترحل أبداً .

عاد إلى منزله والهم يعتصر قلبه وعبر الصالون بخطى سريعة . بمجرد أن تقدم خلع قميصه وحزام بنطلونه . عندما وصل إلى حمام السباحة كان عارياً . نزل إلى الحمام ثم سباح في غضب حتى كادت رئاته تنفجران . ثم أخرج رأسه من الماء .

سمع حينذاك جرس الباب . دهش وقطب حاجبيه وخرج من حمام السباحة في ضوء القمر ولف نفسه بمنشفة . يا إلهي ! من أتي ليزعجه في مثل هذه الساعة المتأخرة ؟

فتح الباب ورأى مادي أمامه وهي تحمل حذاءها في يدها .

## الفصل التاسع

قالت بغضب :

- لا . لن أتركك تتصرف في هذا .

كان صوتها ينبع عن غضبها الذي تراكم منذ أن تركت أوليفر . ثارت عاصفة حقيقة في قلبها .

ارتسمت الدهشة على قسمات الشخص الذي يقف أمامها .

- ماذا ؟

- قلت لك : إنني لم أعد طفلة ،ليس كذلك ؟ كف إذن عن توجيه الأوامر لي بما هو خير لي أو أن تحمياني من شيء غير موجود . بمجرد أن تحدثت تلاشى غضبها لأنها اكتشفت أن أوليفر نصف عار .

قالت ملاحظة بصوت غير مؤكد :

- إنك ترتعد .. هل كنت تأخذ حماماً ؟

- لا ، أنا ...

ارتعدت 'مادي' ونبض قلبها بقوة حتى اعتتقد أنها تسمعه وترقب الرد لحظات بدت طويلة في عينيها . هز رأسه قليلاً وقال بصوت منخفض :

- لا ترحيلى .

امسكت يدها وادخلتها إلى المنزل . دوى صوت الباب خلفهما بصوت بدا لها رمزاً . لقد فات أوان الرجوع إلى الوراء .

- 'مادي' ...

كسر هذا الاسم حاجز الصمت ودوى في الضوء الخافت مثل النداء المنموج .

- 'مادي' ... أنا سعيد لكونك قريبة مني .

كانت هذه الكلمات تكفي لأن تجري الدماء في عروقها . قالت معترفة بضحكة مخنوقة :

- 'أوليفر' ، كان يجدر بك أن تعلموني ... لا أعلم جيداً ... لم أعتد مثل هذه النوعية من الأشياء .

زمر 'أوليفر' لدى سماعه هذا الاعتراف المضطرب .

- ما الذي جعلك تظنين أنني خبير؟

غضبت على شفتها السفلية وسألت باضطراب :

- لست كذلك؟

- تعلمين أن التدريب من أجل الألعاب الأوليمبية لا يترك وقتاً كثيراً لـ ... لهذه النوعية من الرياضة . من المستحيل أن أبدد جهودي .

'كارول' زوجتي كانت أولى النساء اللاتي عرفتهن وأعطتهن الإحساس بأنني اتصرف بوحشية في هذا المجال . تزوجنا عندما كنت في الحادية والعشرين من عمري . كانت تكبرني بستين . بعد موتها ...

اسمعي : أترغبين حقاً أن نتناقش هنا؟

تمتمت قائلة :

- هل ستتركني أدخل؟ قدماي عاريتان .

خرج صوت أحش - لم يكن متوقعاً بالنسبة لها - من حلقها . لقد أعجبت بالهيكل الجسمناني لمضيفها لكن اضطرابها نبع من شيء آخر .

لقد نبع من الطريقة التي عقد بها المنشفة حول خصره .

- إنك ... إنك تشعر بالبرد .

- لا ، لا أشعر بالبرد .

ثم حدق إليها قائلة :

- يا إلهي ! ليس لديك أدنى فكرة يا 'مادي' عن الإرادة التي كانت تلزمني للانفصال عنك في هذه الليلة !

- لماذا طردتني إذن؟

- لقد أوضحت لك هذا .

- قلت : إننا مجروحان لكنني لم أفهم السبب .

لا . ليست تلك اللحظة التي تقر فيها بمشاعرها نحوه . ليست لديها الشجاعة لأن تفعل هذا وربما لن تفعل أبداً . تخبطت 'مادي' في عاصفة من الغموض والتبرم والحب والإحباط .

- 'أوليفر' ، لا أريد قضاء الليل بمفردك .. وخصوصاً بعدما حدث بيننا والكلام الذي تبادلناه ... أنت أيضاً ، إنني متأكدة من ذلك ، إنك ترغب في بقائي ...

- هل أنت متأكدة إنك تريدين البقاء؟ هل تعرفين معنى هذا؟

- إنني فتاة بالغة ، أليس كذلك؟ أعرف نفسي وأعلم ما أريده . لكن أرجوك ...

انفجرت ضحكة عصبية صغيرة من شفتيها المتوترتين .

- إذا تركتني واقفة على الباب هكذا دقيقة أخرى فإني سانفجر .

'أوليفر' ، كن صريحاً : هل تريدين أن أبقى أو إنك تفضل أن اصرف؟

في هذه الحالة سارحل مباشرة .

- لا ، لا ...

لم تكن تجربة الحب هذه سهلة على مادي لقلة خبرتها . اظهرت اوليفر تعاطفه معها وكان اللقاء ...

\* \* \*

فتحت مادي عينيها بعد الفجر بعد ليلة مليئة بالأحلام العاطفية . لأول مرة في حياتها تواجه مادي هذا الموقف المدهش : وجدت رجلا نائما إلى جوارها .

بعد أن اعتادت هذه الفكرة اكتشفت بدهشة أنها لا تشعر بأي إحساس بالذنب .

لقد عرفت أخيرا أنها تحب بشدة ودون أي تحفظ .

أثارت ذكرى اللحظات الحلوة احمرار خديها وابتسامة على شفتيها كانت تموت من الجوع وترغب في أخذ حمام . ابتعدت على أطراف قدميها عن اوليفر النائم وفتحت أول باب يقابلها وكان باب الحمام كما توقعت .

لما سالت المياه على جسدها كررت في قراره نفسها : قلبي راض . لم تكن تخيل قط هذه الجنة . كانت تطير في الهواء على سحابة وردية . يا لها من سعادة أن تحب وتشعر بأنك محبوب ... محبوب لم يعترف اوليفر لها بشيء من هذا القبيل .

ذهبت إلى المطبخ بعد قليل . هذا الجوع الذي يعذبها لم يستطع أن يلهيها عن هذا القلق : هل أحبها اوليفر ؟ إنه لم ينطق بهذه الكلمة السحرية : أحبك . ثارت برودة داخل جسدها .

وضعت بعض الخبر المحمص على طبق . أخرجت مادي وعاء الزبد

المليء والمربى والبن من الثلاجة . لما ابتلعت كل هذا الطعام استعادت شجاعتها . لابد أن تعرف أن اوليفر يشعر أيضا بحزن في قلبه وأنه قد أحب كارول وبكي كثيرا على طلاقها والانفصال عنها ومن ثم قد لا يشعر بأي إحساس تجاه أي امرأة مهما كانت ...

رات حمام السباحة من المطبخ . لابد أن تريزا كانت تجلس في هذا المكان عندما رأتهما يتبدلان هذه القبلة التي شغلتها كثيرا .

تلالات الشمس أعلى سطح الماء والطيور تزقزق بين الأشجار . وقف مادي فترة طويلة وهي تفكر في هذه الجنة الأرضية . نهضت أخيرا ورفعت كوبها ثم فتحت الباب المطل على الحديقة .

\* \* \*

بحث اوليفر عن مادي واكتشف وجودها على حافة حمام السباحة . كانت تثير ظهرها له . لما لم تجد فستانها في الحجرة لفت نفسها بملاءة وكانت تشبه هكذا إلهة الحب والجمال أمام هذا البطل الوسيم . تأمل اوليفر جسد مادي الجذاب واقرب منها .

- صباح الخير يا جميلتي .

- صباح الخير .

يا له من صوت خجول ! كانت نغمة الصوت مختلفة . إنه لم يسمعها قط تتكلم بمثل هذه البحة ... وتذكر أنها لا تستخدمنها إلا عندما تتحدث عن طريق تذينها .

- يبدو أنك استيقظت مبكرا .

- كنت جائعة .

- هل عثرت على أي شيء لتناوله ؟

- نعم . كنت أوشك أن أفك ...

- في أي موضوع؟

عقد ذراعيه على صدره وتفرس فيها بكبرياء مثل الرجل الوسيم  
الموجود أمام امراة هشة.

اجابته وهي تكتم ابتسامتها:

- أعلم فيما تفكير فيه ! لكن هل تتذكر حوارنا بالأمس عن مشاكلنا؟

- نعم ...

ما كان يعلم الأهمية التي تمنحها عقدتها طرد من ذهنه كل فكرة  
متيرة عن جسدها لرغبتها في أن توضح كلامها.

قالت:

- كنت تعتقد أنه من الأحسن أن أعرضها عليك . صحيح أنتي  
شعرت بتحسن كبير بعدها لكن هل غير هذا شيئاً ؟ هل تلاشت  
مخاوفي ؟ أجد صعوبة في تصديق هذا .

- اعتقدين أنه يمكننا محاولة التجربة مرة أخرى ؟

اشارت برأسها بالإيجاب . تقدم نحوها ووضع يدها على ذراعه:  
- إنتي مستعدياً عزيزتي أن تركك تحاولين . لكن لا تنتظري الكثير  
مني ، اتفقنا ؟

إن في استطاعتك التحدث بحرية عن عقدك مجرد بداية . لديك  
الشجاعة لأن تفعلي هذا ، أليس هذا رائعًا ؟

- أريد المحاولة .

- حسناً ، ستحاول . لكن ... هل أحضرت لباس البحر ؟  
ضحك أوليفر دهشت مادي ووضعت يدها على جيبها وقالت:  
- ليس لدي ما أرتديه .

تأملها أوليفر كثيراً ثم قال:

- لا عليك ، ساحضر لك لباس البحر .

عاد أوليفر وهو يحمل معه لباس بحر جديداً لم ترته أي امراة من

. قبل .

الخلقت مادي الحجرة على نفسها وارتدته .

انفجر أوليفر في الضحك عندما ظهرت مادي وهي ترتدي لباس  
البحر فقد بدت مضحكة في هذا الزي . قطبت حاجبيها لكن عندما  
رفعها بين ذراعيه وقبلها باحتدام شعرت بقوة أوليفر .

عندما استعادا جديتها توجها نحو حافة حمام السباحة . قفزت  
مادي في المياه التي وصلت حتى خصرها .  
تغرس أوليفر فيها بشدة .

- حقاً يا أوليفر . إذا لم يكن في استطاعتك أن تتصرف بطريقة  
أخرى غير المراهق المتلخص فإذنني ...  
اعترض قائلاً :

- لكن عندما كنت شاباً لم يكن لدى الوقت لأن أكون متلخصاً .  
دعيني أسترد هذا الحق الآن .  
بعيداً عن أن تمنحه هذا الحق القلت عليه نظرة حادة . لقد تراجعا  
كما لو كانوا في العاشرة من عمرهما وانتهى الأمر بهدنة أرضت  
كليهما .

عندما ابتعد فماهما سالها أوليفر :

- هل أنت مستعدة ؟

اجابته بنفس النبرة :

- نعم .

- بالتأكيد . سترقص معاً في المياه حتى تغطي رأسينا . سأمسك  
لكنني لن أسألك . يمكنك أن تنهضي عندما ترغبين في ذلك . هل  
فهمت جيداً ؟

هزت راسها . ترکزت عيناهما على وجه أوليفر ووضعت يديها على  
كتفي معلمها .

أحاطتها بنراعيه دون أن يحتضنها ثم مرت عدة ثوان من الانتظار  
المقلق قبل أن يسالها :

- مستعدة ... حسنا ... خذني نفسك واحبسه ... هيا بنا .  
تضرع أوليفر في قرارة نفسه حتى لا تحدث أي حادثة ول nisi  
ركبته . كان يحتاجا إلى التركيز حتى لا يضم مادي إليه لكتها تبع  
حركته دون أي تحفظ . لما كان قلقا ولم يرد إظهار ذلك اعتنى أوليفر  
بها لدى صعوده فوق المياه .

انتظر أن تصعد هي الأخرى في الحال لكنها غلت غاية - لفريط  
دهشته - تحت المياه دون أن تظهر أي عصبية وبقيت بها عدة ثوان .  
لما كان سعيدا بهذا الانتصار جذبها أوليفر إليه عندما نهض . كان  
ينبغي عليه باي ثمن أن يفحص وجهها عندما تعود إلى تنفس الهواء  
مرة أخرى .

استعادت مادي تنفسها وصاحت من الفرحة :

- نجحت ! نجحت يا أوليفر !  
أسرعت من فرط فرحتها نحو نراعيه واحتضنته وهي تبكي دموع  
الفرح .

لم يقل أي شيء . لم يستطع هذا . أدرك بدهشة أن إحساسه لدى  
استلامه أي ميدالية في الألعاب الأوليمبية وفي أثناء عزف النشيد  
الوطني للاحتفال بانتصاره لا يمكن مقارنته في شيء بهذه الرعدة  
التي أحس بها في أعماق قلبه .

استطردت مادي النشيطة :

- أوليفر ، إنني مستعدة للبدء مرة أخرى فورا .

## الفصل العاشر

ـ مدhen !

عادت هذه الكلمة إلى مفردات مادي كثيرا .

بعد أن هزمت خوفها تمكنت مادي من الاستمتاع بالحياة وأصبح  
كل شيء مدhen .

جمال الصباح وحرارة الشمس وزرقة السماء . من المدهش أن  
تذهب إلى الشاطئ والتمدد بالقرب من حمام سباحة أوليفر أو اخذ  
درس معه .

مرت الأيام بسعادة طاغية بحيث أصبحت غير قادرة على احتواها  
حتى الناس الذين اعتادت مداعبتهم يدوا محبوبين ومتفاهمين .

عندما أخبرت لاري أن أوليفر علمها السباحة اكتفى الطبيب  
بملاحظته وهو ينظر إلى مكان آخر :  
- السباحة سبب نجاحك .

وتريزا ... من يمكنه الآن أن يرى في هذه الطفلة الصغيرة تلك

- أنا أيضاً لدى فكرة . بمجرد أن تنظم أنفسنا ساصل طلب كلّيكم  
لتناول البيتزا .

ما رايكم أيتها السيدتان ؟  
فتحت مادي فمها ورفعت حاجبيها لكن قبل أن تنطق أي كلمة  
صرحت تريزا ببعض العقلة :

- متasse، إنني مشغولة . سأحفل اليوم بعيد ميلاد فيكي فرون  
فلتر ولدينا جاتوهات مع شموع . تعرّفان أنه في المرة القادمة التي  
ساحفل فيها بعيد ميلادي سيكون لدى سبع من الشموع !

صاح أوليفر :  
هذا مدهش ! اقترح عليكم إذن حفلة على طريقتي : نزهة مع  
الصواريخ .

ما رايكم ؟ أقترح السبت القادم الموافق الرابع من يوليو !  
فتحت تريزا عينيها بدھشة :  
- نزهة حقيقة ؟ على شاطئ النهر مع مركب ؟  
- ماذما ؟

صاحت وهي ثائرة :  
نعم ، رأيت صورة حيث تبدو فيها أسرة تنفسه مع طيارة ورق في  
السحب وبركة بها قوارب .

اصابت هذه اللوحة المثالبة أوليفر بالقلق . اكتفى بتذمره :  
- حسنا ، سأرى ما يمكنني عمله .

\*\*\*

قالت مادي ملاحظة في اليوم التالي :  
- أنت يا أوليفر مجنون بهذه الطفلة .

الطفلة التي كان يتم تعذيبها منذ شهر مضى ؛ إنها أصبحت الآن تحت  
أنظار مادي مثل عروسة دمية في مكتب المستشفى . نعم كذلك كانت  
مادي تسbig في سعادة . لقد منحها أوليفر الحب كلّه والمحيف  
تقربا . لكنها تشعر بأنها تسير على الحبل المشدود لأنها كانت تسأل  
نفسها في أثناء لحظات ارتياها عن الوقت الذي سيتحملها إلى  
جانبه . كانت ترتعد أحياناً لفكرة أنه سيطردها ....  
طرق أحد الباب .

- ادخل !

تلقي أوليفر استقبالاً حماسياً من جانب امرأتين . أضاعت  
الابتسامة وجهه . طبع قبلة على خد تريزا وأخرى على رأس مادي .  
قالت تريزا بنبرة انتصار :

- أوشكت أن أن أصنع ثعباناً وسيأكلك !  
- سيد ثعبان إنك مغرورة كثيراً ! إنني كبير عليك !  
- لكن مع ذلك يمكنني أن أكل أنفك !  
صاح أوليفر متضيقاً الفزع :  
- النجدة يا مادي !  
- تدبّراً أمراً كما بتنفسيكما ! لن أتدخل في هذا الأمر .  
- لكنك أنت التي علمتها صنع هذه الدمية !  
- لا مطلقاً ، لقد صنعتها بدون مساعدتي .  
تأملت مادي بسعادة المعركة المحتدمة بين الاثنين اللذين تحبّهما  
كثيراً .

- تريزا إنه الوقت المناسب لأن تستعدي حيث سياتي دوتي  
للبحث عنك . لا ، لا تناقشي ... إنني أعرفك ، ستسعني لإطالة اللعب  
مع أوليفر .

تدخل أوليفر قائلاً :

- لكنني مع ذلك أعتقد ...  
- إنك لا تفهمين . هذا الأحمق لن يتخلّى عن "تريزا" ويتركها لي . إنه سيغلق الباب في وجهي مباشرة .  
- إنك تبالغ .

قال وهو يضحك ضحكة مريضة :

- لا . هل تتذكرين شفتي المجرورة يوم إصدار الحكم ؟  
- نعم ، ما علاقتها بهذا ؟  
- لقد ضربتني يا "مادي" . هل يدهشك هذا ؟ هذا الوحش لا يستطيع التحكم في نفسه .  
تأملته "مادي" بذهول ولست يدعا فمه .

استطرد "أوليفر" :

- تعلمين أنه لا يمكنني تحمل فكرة فقدان هذه الصغيرة "تريزا" . لا ، لا يمكنني .  
احتاطت ذراعاها بعنقه وهي تشعر بالمشقة التي يشعر بها ومحاولة منها أن تشاركه في عذابه . لكن ماذا تفعل ؟  
- "أوليفر" ، كنت أتمنى مساعدتك .  
- "مادي" ...

صاح باسمها وهو يتنهد . مرر يده في شعرها الأشقر ثم حملق إليها بشدة وصاح بصوت منخفض :  
- يمكنك مساعدتي ... تزوجيني .

\* \* \*

في نفس اللحظة أدرك "أوليفر" أنه خطأ خطوة خطيرة . توتر جسد "مادي" كما لو كان قد ضربه .

كان الاثنان ينتظران من خلال نافذة حجرتها إلى سيارة "دوتي" التي تقل "تريزا" .

كان "أوليفر" يحس - باستمرار - بالحاجة إلى وجودها الدافع والرقيق .

ضمها "أوليفر" إليه وهو يتنهد :

- "أوليفر" ، هل لديك هموم ؟  
- كيف خمنت هذا ؟

عندما تحب امرأة رجلاً مثلما أحبك فإنها تكتسب الحاسة السادسة .

- أخبرني بكل شيء .

- حسنا ، لقد قضيت ساعات وساعات في مكاتب التبني المختلفة والوكالات ودار الخدم ، ولك أن تصدقيني أم لا انهم قد أخبروني في كل مكان أن فرصتي ضعيفة في تبني "تريزا" ، إن لم تكن مستحيلة .  
- "أوليفر" ! ....

- لقد أكدوا لي أن المعايير المطلوبة تتناسب مع أزواج كثيرة لكنهم ينتظرون منذ فترة طويلة .

- لكن مجرد أن "تريزا" تعرفك وتعشقك لابد أن يكون هذا في صالحك !  
- نعم ، أعتقد هذا . لكنها صغيرة جدا ! يبدو أنها تحتاج إلى أم وهذا ضروري لنموها العاطفي . كما لو كان حبي لها غير مهم جدا !  
قالت برقة :

- تعلم يا "أوليفر" أنني حذرتك من أن هذا سيكون صعبا . لكن يمكنك أن تحاول التحدث إلى حالة "تريزا" وزوجها . يمكنك بهذه الطريقة الاحتفاظ بالطفلة بطريق مباشر . أعلم جيداً إنك على خلاف مع زوج خالتها وان المبادرة ستبدو شاقة عليك لكن ...  
- شاقة ؟ تقصدين مستحيلة .

- ماذا سيحدث إذا لم تحصل على حكم بتبني الطفلة ؟  
إذا لم احصل على حكم بتبني الطفلة ... فكر سريعاً لكن الرد سقط  
عليه مثل الساطور : إن "مادي" هي من يريدها سواء مع "تريرا" أو  
بدونها . إنه يريد "مادي" !

أجابها :

- ساقرر وقتها ما ينبغي عمله .

رأى "أوليفر" أنه في حالة إذا ما فقد "تريرا" فإنه سيحتاج إليها .  
"مادي" أحبك جداً ! لا تقولي لي : "نعم لتسدي إلى خدمة".  
وضع "أوليفر" نراعه على كتفها، ونظرها إلى بعضهما البعض .  
شعرت "مادي" بقليل ريبة على شفتيها قبل أن تتولد ابتسامة على  
وجهه .  
همست :

- حسناً جداً يا "أوليفر" . سأتزوجك .

لم يستطع مدة دقيقة أن يبعد عينيه عن هذه الابتسامة . قال شاكيا  
في قراره نفسه : "سامحيني" . ثم مال عليها ليقبلها .

\* \* \*

صاحت "جودي" :

- ماذا ستفعلين ؟

كان صياحها قوياً حتى إنه كان على "مادي" أن تبعد التليفون عن  
أذنها .

- ستتزوجين ؟ لا يمكنني تصديق هذا ! تتزوجين بمن ؟ "أوليفر" ؟  
كان يجب أن يحدث هذا . كنت أشك في هذا . كنت أشك في أن هناك  
سراً غامضاً اكتشفته من خلال الطريقة التي تنتظرون بها إلى بعضكم

لقد ضيعت كل شيء ! قال لنفسه وهو يحس باللام : يا لي من  
إنسان أحمق !

أدرك في الحال الآخر الذي تركه اقتراحه . يا لها من مصيبة ! إذا  
حاول الآن أن يعترف لها بحبه فكيف يمكنها أن تصدقه ؟ لم يتمكن  
الزواج بها حسبما يدور في ذهنه إلا بهدف زيادة فرص تبنيه للفتاة  
الصغيرة .

كرر كلامه وهو يداعب شعرها :

- تزوجيني يا "مادي" ، تزوجيني ... احتاج إليك .  
أدرك في نفس اللحظة أنه لم يعترف لها بحبه حتى في أعز لحظات  
حبهما الحلوة .

لماذا ؟ لم يكن يدرى أي شيء عن هذا . لم يكن متاكداً إلا من شيء  
واحد :

إنه يحبها بكل كيانه .

ما مشاعرها نحوه ؟ إذا كان قد شعر بالانجداب الجسدي تحومها  
فهذا بالضرورة لا يعني أنها تحبه . "مادي" حساسة جداً ! إن كرمها  
نحو الذين يعانون ويحتاجون إليها ليس له حدود . إنها تصنع  
المعجزات مع الأطفال .

كيف له إذن أن يعرف إذا كانت تشعر نحوه بالحب أو تشعر نحوه  
 بهذه الشفقة التي تشعر بها نحو من يحتاجون إليها ؟ لم يكن مهمماً  
حقيقة بهذا حتى هذه الدقيقة . لكنه يشعر الآن بالحزن والوحدة .

تخلصت من ذراعيه وسألته بصوت منخفض :

- أتعتقد أن هذا سيساعدك ؟

لكي يخفى توتركه تعجب بضحكة اصطناعية :

- لن يضرني هذا على أية حال .

فكرت "مادي" ثم سالته بعد أن اختارت كلماتها بعناية :

البعض في النساء السهرة ... حسناً، لك تهنئتي !  
شكراً.

حملقت مادي إلى وجه الدمية تشنن - تشنن وهي تمسكها . هناك  
وقفة .

اعترضت چودي :

- شكرًا ؟ هذا هو كل ما يمكنك قوله ؟ نتزوجين بشخصية مشهورة  
في سان رامون ولا تعطيني أي تفاصيل ؟ متى سيدتم الزواج ؟  
لم يحدد بعد . في القريب العاجل ...

- أتدركين أن هذا الزواج سيحتل مساحة كبيرة في الجرائد ؟  
أوه ! لا . سنتزوج في إطار محدود . لا نحتاج إلا للشهود وأنا  
أطلب منك أن تكوني شاهدة أيضاً .

ساد صمت مخيف بالغريب ثم سالتها چودي بنبرة متغيرة  
بالفعل :

- مادي ، ماذا حدث لك ؟  
لا شيء ، أؤكد لك ... لكننا لا نريد إقامة حفلة كبيرة ، هذا كل ما  
في الأمر .

- إذا كنت تتصورين أنه يمكنك الكذب على فانت مخطئة . اعلم  
جيدها أن هناك شيئاً ما مختلاً في هذا الزواج وقد أحسته من خلال  
صوتك . عندما تزوج المرأة رجل حياتها فلا يبدو الحزن عليها هكذا .  
إلا إذا ... يا إلهي ! هل أنت حامل ؟

هل اضطررتما إلى هذا الزواج ؟ استحلفك بالله إلا ترتكبي هذه  
الحمامة !

دوى ضحك مادي بصخب . آه يا چودي ، لم تخطئي لكن الطفل  
لديه ستة أعوام ! .

- لا يا چودي ، سلكت الطريق الخاطئ . لكن يجب أن تفهمي أننا

- أنا وأوليفر - لا نرغب في مواجهة الصحفيين والمصورين .  
نعم ، أفهم وأدرك أيضاً أنك تخفين شيئاً ما .

- چودي ...

تنهدت مادي . أزعجها العتاب الذي أحسسته في صوت صديقتها  
لκنه لا تمتلك الشجاعة أو الرغبة في توضيح الأمر لها .

قالت بحمية :

- سامحيني ، هناك من يطرق الباب . ساتصل بك فيما بعد ...  
لم تشعر مادي بالراحة أيضاً لتلقيها زيارة مفاجئة . أعادت  
دميتها إلى الرف وذهبت لفتح الباب . رأت أمامها سيدة في عمر  
معين يبدو شكلها مالوفاً لها .

- الأنسنة چوردون ؟

كانت السيدة تتحدث بتردد وهي تفتشف في حقيبتها لتفرغ  
محفوظاتها .

- أمل إلا أكون قد أزعجتك ... إنني خالة تريزا .

- أوه ! السيدة سونتو ، عفوا ! لم أعرفك . تفضلي بالدخول  
أرجوك .

- من فضلك ناديني شارلوت ... السيدة سونتو تجعلني ...  
تجعلني ...

كانت نظراتها مضطربة وأشارت إشارة غامضة بيدها ثم استطردت  
وقد بدا الضيق عليها :

- أنا ... اسمعي : أمل إلا تتضايقين من مجبي إلى منزلك هكذا ...  
طلبت المستشفى ورد على الدكتور ويتالو ... أعطاني عنوانك . كنت  
أخشى أن ترفضي استقبالي بسبب ... ما حدث لـ تريزا لكن الدكتور  
ويتالو قال لي ... .

- أرجوك ، ادخلني يا شارلوت واجلسني .

منديها.

بعد أن ثقت نظرة توسل على مادي واصلت السيدة سوتو حديثها :

- رأيت تريزا عدة مرات في منزل التبني المؤقت هذا ولم تكف عن محادثتي عنك وعن أوليفر . علمت أن أوليفر هو معلم السباحة الذي ضربه جو ... لقد فقد جو عقله تماما .

- علمت هذا فلقد حدثني أوليفر عنه .

كان يصعب على مادي أن تخمن ما ت يريد محدثتها الوصول إليه . لقد تركتها تعبر عما تشعر به في هدوء وصبر لكنها شعرت بالقلق لأنها لا تجد الوقت للإعداد لنزهة الغد .

لقد حصلت تريزا على إذن باصطحابهما إلى منتزه دولارز سبرنج بارك . بما أن هذه الرحلة قد تكون الأخيرة التي تشارك فيها تريزا فإن أوليفر سعى إلى نجاحها .

كان من المنتظر أن تكون الجلسة التي تحدد مصير الطفلة يوم الاثنين القادم .

واصلت شارلوت سوتو حديثها :

- أود أن أسألك إذا ما كان أوليفر هذا يحب تبني تريزا ؟ تقرست مادي فيها بدھة . ثم قالت :

- نعم ، إنه يحب تبنيها لكن ليس لديه أمل كبير . إنه غير متزوج حتى الآن وحتى لو تزوج فإنه لا يوجد على رأس قائمة الطالبين تبني الطفلة .

- أعلم هذا ، وقد أخبرني به الدكتور ويتمالو لكنه أكد لي أن الوالدين يمكن أن يتفقا قبل الجلسة . إذا كان أوليفر وأنت ...

أكدت مادي التي تزايديت عصبيتها :

- بالتأكيد ، يسعدنا هذا لكن هذا يبدو غير معken . كيف يقبل زوجك

ضمت السيدة حقيبتها على قلبها وهي تستند إلى مسند الكرسي .

قالت والقلق يبدو عليها :

- شكرًا . إنني ... إنني أسفه حقا من أجل تريزا لكن يمكنك أن تصدقيني : إنني أكن لها مشاعر طيبة . إنها ... إنها ابنة اختي وبعد وفاتها قبلت بمhapus إرادتي أن أخذها إلى منزلي .

- إنني مقتنعة بذلك .

استعادت السيدة سوتو بعض الثقة :

- تفهمين تماما أن زوجي عصبي جدا في هذه الأونة الأخيرة . كان لابد أن يغير عمله وكان يخشى باستمرار أن يطرد إلى الشارع خوفا من أن يعاني البطالة ... وحينذاك بدا يشرب ولم تفهم تريزا هذا . كانت تتكلم وتتناقش و ...

- أقدر هذا ...

- جو ليس رجلا سيئا و ... هذا هو ما أردت توضيحه لك ... لم تكن الصغيرة مطيبة وهذا أغضب جو .

قالت مادي مواسية :

- نعم ؟

- أخبرني الدكتور ويتمالو أن تريزا أصبحت فراشة في السباحة ثم إن هناك أسرة ستتبناها .

- بالفعل .

- أكد أيضا أن بعض الأشخاص يرغبون في تبنيها .

همست مادي بصوت خافت :

- نعم ، هذا صحيح .

- حسنا ، إنني سعيدة من أجل ذلك . إنني أريد السعادة لـ تريزا وهذا كل ما انتمناه لها . إنها بنت صغيرة طيبة .

سألت الدموع من عيني السيدة سوتو التي أعطتها مادي

أن يعهد بـ“تريرا” إلى الرجل الذي هاجمه في الشهر الماضي؟ إنني لا أفهم محاولتك يا شارلوت سوتو. لماذا أتيت لرؤيتي أنا وليس لرؤية أوليفير؟

- أوه ! مستحيل . سيدقليني **جو** إذا علم أنتي قابلت **أوليفر** .  
لكنك تعلمين أن **جو** هو من اعتدى عليه في البداية .  
بدأت **مادي** تفقد صبرها . بدت لها هذه الثرثرة غير مجديّة .  
سألتها قائلة :

- بما أن زوجك يرفض الذهاب إلى أوليفر فكيف يمكنه الموافقة على أن يعهد له برعاية ترثا؟

عدلت "شارلوت سوتو" كتفيها لتسجّل مجمّع شجاعتها:

- هناك شيء لا تعلمهينه . «أوليفر» لا يحتاج إلى إذن زوجي . أختي لم تكن تحبه كثيراً .

لقد عهدت بها إلى في وصيتها وليس لـ**جو**. إنني الوصية الشرعية لابنة اختي.

هبط صفت مشحون بالكهرباء على المراطين . تملك مادي إحساس غير متوقع وغريب ومقلق بعض الشيء .  
فتتشت شارلوت سوتون في حقيقتها وأخرجت ظرفاً أعطته مادي  
إيه .

- ولهذا أحب أن تتبني أنت وأوليفر تريزا ... يكفي أن توقعني أسفل هذه الوثيقة .

الفصل الحادى عشر

كان منتزه "دولارز سبرنجز بارك" يقع على دعامة المنحدر . تحولت الشلالات القديمة من أعلى الجبل إلى مجرى في وسط أشجار الصنوبر والتين قبل أن يصب في المحيط .

صُرِّت إطارات سيارة 'مادي' - التي استخدموها في الرحلة لأنها تنسع لهم . ولا حتّياتهم - على الحصى والرمال عندما ركّنها في الموقف .

صاحب "تریزا" الثائرة :

- لا ادري العبرة !

- الصدر ما صغرتني . احملني اذن المفرش الذى ستحلسو عليه.

- مازلت صغيرة ! عجباً ستمسكن بهذه الحقيقة الكبيرة !  
مد أوليفر يده إليها ببالة غامضة أثارت "مادي" والطفلة في أثناء حلتها .

- كل شيء بأوانه .  
غمر "مادي" - التي ترقب مزاجهما - إحساس متير بالحب الممزوج بالحزن . ترققت الدموع في عينيها . جففتها بسرعة وقررت الانضمام إلى مرحهما .

صاحت "تريزا" باعلى صوتها :

- إنها طيارة ورق ! طيارة ورق تشبه الطيارة الموجودة على الصورة، هل يمكنني أن أطيرها ؟ هل يمكنني ذلك يا "أوليفر" ؟  
- انتظري حتى أجمع أجزاءها .

بدأ هذا المشروع صعبا على غير المتوقع .

قالت "تريزا" :

- تتصرف "مادي" بشكل رائع مع هذه الأشياء . إنها تصنع العرائس ،  
الاتعرف هذا ؟

قال "أوليفر" ملاحظا :

- نهتم دائمًا بوجود إلتصاصي من هذا النوع .  
تبادل النظرات لأول مرة منذ الصباح ولحت "مادي" فيها وميضا غريبًا كما لو كانت قد قابلت صديقاً وسط أناس كثيرين . لكن حدث هذا مدة قصيرة وفضلت أن تدير رأسها .

مال "أوليفر" وطبع قبلة على جبهتها وانصرف مع "تريزا" ليطيرها الطيارة الورق .

أفرغت "مادي" محتويات سلة النزهة وتتساءلت بحزن هل كان وجودها مجديا لها هما الاثنان ؟ لقد ادركـا في وقت بسيط أنه من السهل الاستغناء عنها . عادا بعد نصف ساعة والذهول يبدو عليهما بدون الطيارة .

قالت "تريزا" مفسرة :

غير المتنزهون الثلاثة - وأيديهم متشابكة - دربا موجودا وسط الأشجار . قالت "مادي" لنفسها : "متى سأخبره" ؟  
ادركت "مادي" أنها تشعر بالوحشة في صعمتها . لم يعرف "أوليفر" أن عقبات مشروع التبني قد تلاشت بفعل السحر . لكن لسبب خمنته بسهولة آخر اللحظة التي تخبره فيها بذلك . كانت الوثائق الرسمية موجودة في حقيبتها الموضوعة في حقيبة السيارة تنتظر التوقيع الأخير .

لماذا يتزوجها "أوليفر" إذا لم تعد لديه الحاجة لأن يتزوجها من أجل الاحتفاظ بـ"تريزا" ؟ من الواضح أنه سخي ولطيف جدا لأن يراجع موقفه هذا بعد ما حدث . لكنها أي "مادي" نفسها لا يمكنها الزواج به . لكن لا بد عليها أن تفكر : ربما لن ترى "أوليفر" بعد ذلك أبداً .  
تقدـم بخطى واسعة نحو "تريزا" التي ترقص إلى جانبه . لا ، لم يعد أحد يحتاج إليها .

شغل جميع المتنزهين الحديقة وشغلت جميع المناضد . لكنهم اكتشـفوا مع ذلك مكانا مطلوبا تحت شجرة الذين بعيدا عن ملعب الجولف حيث يجهـز الإلتصاصيون الصواريخ النارـية من أجل السهرة .  
شعرت "تريزا" في البداية ببعض الإحباط لأن هذه القوارب القديمة لا تشبه الزوارق الصغيرة المرسومة في صورتها المعلقة على الحائط . لكن عندما أخبرـها "أوليفر" أنها ستقوم بنزهة على الماء ابتهـجـت وأرادـت القفز مباشرة على القارب .

ثم ارتدـيـ الثلاثـة حزـام الأمـان البرـتقـالي ودارـوا حول الـبحـيرة .  
ثم عادـوا إلى مـكانـهم وجـلسـوا على المـفـرـش واستـعادـوا انـفـاسـهم .  
صـاحت "تـريـزا" التي تـشعـرـ بالـإـثـارـةـ :

- الأن سـنـفتحـ الـلـفـافـةـ التي تـعدـ مـفـاجـأـةـ . بـسـرـعـةـ ياـ "ـأـوليـفـ"ـ :

- لقد أكلتها شجرة .  
قال أوليفر :

- شجرة تأكل طيارة ورق ، يا له من سوء حظ ! لكن لا يهم .  
سندذهب في المرة القادمة إلى منتزه لا تنمو فيه أي شجرة .  
المرة القادمة : القى على مادي نظرة ووصلت إلى قلبها مباشرة .  
كانت أن تخبره بزيارة السيدة سوتو حالة تريرا لكن صرخات  
تريرا أوقفتها وفاقت الفرصة .

بالإضافة إلى الدجاج الساخن والشيبس والثمار والجزر والزيتون .  
حضرت مادي فطيرة كبيرة بالتوت . قدمت تريرا علبة جانوه بجوز  
الهند كانت قد صنعتها مع دوتى فرون فلتر .  
بعد هذه الوجبة أرادت تريرا التي لم تكل أو تحس بالتعب العودة  
إلى القارب .

أجابها أوليفر وهو يتناءب :  
- لا ، ليس الآن . تعلمين جيدا أنه يجب عليك أن تناجي فترة  
الليلة بعد وجبة الغداء في الهواء الطلق .

اصرت الصغيرة ولكنه رفض اصطحابها .  
- لكن هل يمكنني الذهاب بمفردك ؟ إنني كبرت حتى يمكنني  
التجديف بنفسي .

فتح أوليفر عينيه وهو ممدد على الأرض والقى عليها نظرة قاسية .  
- لا ، لم تكبري بعد . وأحذرك من الاقتراب من القارب إذا لم أكن  
معك .

لم يفلح العبوس البادي على الصغيرة في إثارة رقته .  
قالت متذمرة :  
- لن أنام .

- تعالى ونامي بالقرب مني وسننطف في النوم جميعا .  
ابتهج وجهها وجلست بجانب الشجرة وراحت في سبات عميق في  
وقت بسيط .

\*\*\*

- استيقظلي يا عزيزتي :

اعادت هذه الكلمات - التي همس بها في اذنها - مادي إلى أرض الواقع . كان وجه أوليفر قريبا من وجهها .

- أسف لايقافك يا صغيرتي لكنني أحتاج إلى مفاتيحك .  
- كيف ؟

- صه ! تريرا نائمة ... ساغتنم هذا الوقت الهادئ لاعيد السلة إلى السيارة حتى لا يكون لدينا ما ننقله لدى عودتنا .

- أوه ! حسنا ... امسك ، ها هي المفاتيح وأرجوك يا أوليفر .  
احضر الحقيبة التي تركتها هناك .  
- اتفقنا .

قبل أنفها وهمس قائلا : أحلمي أحلاها سعيدة .  
وانصرف .

\*\*\*

تسبب الإحساس بالقلق الواضح والذي يشبه الكابوس في وضع النهار في فزع مادي بمكانها . القت نظرة فزع من حولها . عرفت السبب في الحال .

- ١٣٣ -

- ١٣٤ -

ـ ماديـ وسقطت في الماء ورأتها ماديـ تختفي وقد تملكتها الدهشةـ .  
اغمضت عينيها وتسمرت في مكانها مثل المشلولةـ ثم فرضت فكرةـ  
فقدها عليها وجالت في خاطرها كحروف من نارـ لاـ ، لن يتحملـ  
ـ أوليفرـ أن يفقد طفلة أخرى بهذه الطريقةـ يا إلهيـ ، انقذهاـ .

~ ~ ~

خرجـ أوليفرـ من الدرب حينما سمع صرخةـ ماديـ . لم يحتاج إلاـ  
ثانيةـ حتى يحدد موضعها وقرناـ كاملاـ ليفهم هذه المأساةـ . رأهاـ منـ  
بعيدـ تقفزـ في البحيرةـ .

AFLAQT HADHIDHA MIN BIN YIDEH WOGRI BESRRA . "TRIRZA" , LGHHA MN BEUD  
TSEBBIG BEHDOU WENTQAD HARRAKAT TI ULMHA EBIAHA WALTI ASTEWUBHTA  
BESRRA . YILZEMHA MJEHOUD SHACQ LTCQTRB MN SHATTELI LKHNHA LA TABALI .  
QAL FI QARARA NAFSEH : "FATA MMTAZA WTLMIDA JIBDA" .

فيـ خلالـ ثلاثةـ أسابيعـ كانتـ ماديـ قد حقتـ تقدماـ ملحوظـاـ . لكنـ  
إنقاذـ طفلةـ يمثلـ انتصارـاـ كانتـ غيرـ قادرةـ علىـ تحقيقـهـ . لماـ أرادـتـ  
مساعدةـ "TRIRZA"ـ كانتـ انـ تجذبـهاـ أسفلـ البحيرةـ . كانتـ هناكـ غريقـتانـ  
صاحتـ إلىـ أقربـ جارـ لهـ :

- أخبرـ مركزـ الإنقاذـ العاجـلـ !

دونـ أنـ ينتظرـ الردـ اندفعـ كالـسـهمـ نحوـ الـبـحـيرـةـ . إنهـ لمـ يـسـبـحـ قـطـ  
هـكـذاـ بـسـرـعـةـ ! إنهـ لمـ يـسـبـحـ لـكـسبـ مـيدـالـيـةـ ذـهـبـيـةـ أوـ يـحـقـقـ رـقـمـاـ  
قيـاسـياـ وـلـكـنهـ يـفـعـلـ هـذـاـ مـنـ أـجـلـ إنـقـاذـ حـيـاتـ الشـخـصـيـنـ الـذـيـنـ  
يـحـبـهـماـ . كانـ مـتـحـيـراـ وـهـوـ فـيـ المـاءـ بـنـ ضـرـورـةـ بـقـاءـ رـاسـهـ أـعـلـىـ سـطـحـ  
المـاءـ لـيـراـهماـ وـبـيـنـ ضـرـورـةـ السـبـاحـةـ تـحـتـ المـاءـ لـيـذهبـ إـلـيـهـماـ بـسـرـعـةـ .

- ١٣٥ -

كـانـتـ وـحـيـدةـ . لـاـ يـوـجـدـ أـحـدـ عـلـىـ المـفـرـشـ . لـقـدـ اـخـتـفـتـ "TRIRZA"ـ .  
حاـولـتـ مـادـيـ إـقـنـاعـ نـفـسـهـاـ بـاـنـ "TRIRZA"ـ تـلـهـوـ فـيـ الـحـديـقـةـ دـوـنـ اـدـنـيـ  
شكـ وـذـهـبـتـ لـلـبـحـثـ عـنـهـاـ . إـنـيـ كـبـرـتـ حـتـىـ يـمـكـنـيـ التـجـدـيفـ  
بـنـفـسـيـ . نـعـمـ ، لـكـنـهـاـ اـمـتـلـتـ لـأـوـامـرـهـ . لـكـنـ شـخـصـيـتـهاـ الـمـسـتـقـلـةـ  
دـفـعـتـهـاـ بـبـسـاطـةـ إـلـىـ اـكـتـشـافـ مـاـ حـولـهـاـ .  
- "TRIRZA"ـ ! "TRIRZA"ـ !

لمـ يـرـدـ أـحـدـ عـلـىـ نـدـاءـاتـهـاـ . هلـ ذـهـبـتـ الطـلـفـةـ الصـغـيـرـةـ إـلـىـ الـقـوارـبـ ؟  
وـ"TRIRZA"ـ لمـ يـعـدـ حـتـىـ الـآنـ ؛ تـسـأـلـتـ مـادـيـ عـنـ الـوقـتـ الـذـيـ نـامـتـهـ مـنـذـ  
أـنـ رـحـلـ "TRIRZA"ـ إـلـىـ الـسـيـارـةـ . ثـمـ دـوـتـ تـحـذـيرـاتـ السـيـدـةـ "SOTO"ـ فـيـ  
أـذـنـهـاـ : "الـصـغـيـرـةـ مـقـرـدـةـ"ـ .

وـصـلـتـ مـادـيـ الـتـيـ كـانـتـ تـنـادـيـ "TRIRZA"ـ بـصـوـتـ عـالـىـ الـبـحـيرـةـ .  
كـانـ يـوـجـدـ زـوـارـقـ عـدـيـدـةـ عـلـىـ المـاءـ لـكـنـ "TRIRZA"ـ غـيـرـ مـوـجـودـةـ . وـقـعـتـ  
عـيـنـاهـاـ عـلـىـ مـكـبـرـ صـوـتـ فـاسـكـتـهـ وـنـادـتـهـ بـكـلـ مـاـ أـوـتـيـتـ مـنـ قـوـةـ .

وـصـلـ إـلـىـ مـسـاعـهـاـ صـوـتـ صـغـيرـ خـارـجـ مـنـ المـاءـ :

- أـوهـ ، مـادـيـ اـنـظـرـيـ إـلـىـ ! اـنـظـرـيـ إـلـىـ مـاـ فـعـلـتـهـ !

- ياـ إـلـهـيـ !

ظـهـرـتـ الفتـاةـ الصـغـيـرـةـ عـلـىـ الزـوـرـقـ وـهـيـ تـحـركـ ذـرـاعـهـاـ دـوـنـ أـنـ تـهـمـ  
بعدـ تـواـزـنـهـاـ :

صـاحـتـ مـادـيـ بـصـوـتـ عـالـىـ :

- اـجـلـسـيـ ! اـجـلـسـيـ ياـ "TRIRZA"ـ !

ترـدـدـتـ الصـغـيـرـةـ وـقـدـ تـمـلـكـهـاـ القـلـقـ الـبـادـيـ فـيـ صـرـخـةـ "MADI"ـ . اـفـلـتـ  
المـجـدـافـ الـذـيـ كـانـتـ تـمـسـكـهـ بـيـدـهـاـ مـنـهـاـ وـزـلـجـ إـلـىـ المـاءـ . خـفـضـتـ الـبـنـتـ  
رـاسـهـاـ فـيـ الـحـالـ لـتـلـحـقـهـ .

هزـتـ حـرـكـتـهـاـ الـقـارـبـ وـتـعـرـتـ "TRIRZA"ـ تـحـتـ نـظـرـاتـ الـفـزعـ فـيـ عـيـنـيـ

- ١٣٤ -

- من الواضح أنتي أبلغته ! ماذا كنت تتتصورين ؟ إنك تعرفين السباحة جيدا حتى تنقذني طفلاً تشرف على الغرق . إنها تسحب أفضل متنك .

انتهى الطبيب من فحص المرأة وأكد لها أنه لا توجد نقطة ماء واحدة في رئتيها .

غطى أوليفير وجهه بيديه ثم رفع ذراعيه بحركة تشير إلى إحباطه :

- ماذا تعتقدين ؟ هل تعتقدين أنني سأفقد الشخصين الوحدين اللذين أحبهما في هذا العالم ؟

- أوليفير ، انتبه ، إنك تخيف تريزا .

على الرغم من المفرش الصوفي الذي يطوق الطفلة إلا أنها كانت ترتعش بشدة .

رفعها أوليفير واجلسها على ذراعه دون أن يهتم ببرود الفعالها صاح فيها قائلًا بقوه :

- حسنا ، إنها ستعلم هكذا أن الشخصين المتحابين يرفعان أحيانا صوتيهما لأنهما غاضبان . لكن هذا لا يعني أنهما سيتعاركان بل على العكس . أفهمت ما قلته يا تريزا ؟

- نعم ...

- وإذا عصيت أمري مرة أخرى فساضربك ضربة ستذكرنيها حتى آخر يوم في حياتك . أتفهمين هذا أيضًا ؟

ارتفاع صوت خافت :

- لن أعصي الأوامر أبداً .

بعد أن شكر الطبيب انزل أوليفير تريزا على الأرض وابعدوا عن الزورق .

- مادي ، اعذرني إذا كنت قد تحدثت بصوت عال ...

كان يحدد مكانهما بلمحة سريعة في كل مرة يستعيد فيها انفاسه . صاح في صمت :

تحليها بالشجاعة ! إنني قادم ! لاستسلاما ولا ترتبطا عزيزتيما ! إنني قادم يا عزيزتي !

لم ير أوليفير مادي في اللحظة التي وصل فيها إلى تريزا . تعلق الجسد الصغير المرتعش من الخوف والبرد به .

- اهدئي . تم إنقاذه .

قالت وهي تبكي :

- مادي ستغرق .

اقترب زورق . بحركات محددة وسريعة ألقى بعبيه إلى المدافن دون أن يهتم بالطفلة ذهب للبحث عن مادي . لابد أنها تموت من الربع <sup>١</sup> . غطس في الماء الناشر وتحفص عمق المكان حيث لمح - للمرة الأخيرة - رأس مادي . أحس باحتكاك تحت يده وأمسك شعرها الأشقر .

صعدت إلى السطح وعندما نفخت الماء أدرك أنها بخير . لاحتها تريزا من القارب وأطلقت صيحات الفرج .

تجمعت زوارق الإنقاذ حول الغارقة . ترك أوليفير لهم مادي وعاد إلى الشاطئ ، تجمع رجال مركز الإنقاذ وعدد من المتطوعين حول الناجيدين . وضع أحدهم تريزا بين ذراعي أوليفير واحفت البنت الصغيرة وجهها في كتفه واعطت يد أخرى مفرشاً له مادي التي لفت نفسها به وصاحت بذهول :

- أوليفير ! هل أبلغت مركز الإنقاذ ؟

كانت المشاعر في هذه الأونة عنيفة جداً . أعاد أوليفير تريزا إلى قدميها وأنفجر قائلًا :

قالت بخجل :

- أوليفر . سمعت ما قلته ... تحدثت عن الشخصين الوحدين  
الذين تحبهمـ ...

هل هذا يعني أن ... أنت تحبني ؟

- بالتأكيد أيتها الحمقاء الصغيرة . بالتأكيد .

توقف أوليفر وأخذ مادي بين نراعيه . كان يحتاج إلى أن يشعر  
بقربها منه .

- عندما فكرت أنني كنت ان أفقدك ... غارقة ... لا ، لا أريد التفكير  
في هذا الأمر مرة ثانية .

- أوليفر إنني لن أغضب مثلكما رأيت في كوابيسى . لقد شفيفتني  
من هذا المرض الغليظ ... ولدي خبر رائع من أجلك .

- تريدين أن تخبريني أنت تحبيني ؟

- أوه ! هذا واضح بالتأكيد .

- ماذا تريدين إذن ؟

سالت الدموع فجأة على خديها ... إنها دموع الفرح وحكت له عن  
زيارة السيدة سوتون .

\* \* \*

بدأ الغروب وانتظر الثلاثة بداية انطلاق الصواريخ الناريه .  
جلست تريزا على ركبتي مادي التي تخضع رأسها هي الأخرى على  
صدر أوليفر .

قال بهدوء بعد أن وازن كلامه :

- تريزا : هل تحبين العيش معى أنا و مادي ؟ تعيشين معنا إلى

الآبد ؟ ستصبح والديك . ما رأيك ؟

أجاب الفتاة :

- هذا مستحيل فلدي آب حقيقي وام حقيقة في السماء .

قال أوليفر مفسرا :

- حسنا ، أنا أيضا لدى ابن في السماء . يمكن أن يكون لدى طفلة  
صغريرة أخرى وانت يصبح لديك والدان - يخلفان والديك الموجودين  
في السماء .

شودت الفتاة الصغيرة في تفكير بسيط ثم قالت :

- في هذه الحالة نصبح متلقين .

ثم سالت الطفلة :

- حينذاك ... ستصبح دليلة جدتي ؟

- ستقترب من هذا الأمر بيتنا .

- حسنا و ... هل سيكون لدى إخوة وأخوات ؟ أحلم دائمًا بأن يكون  
لدي عشرة على الأقل !

أكيد أوليفر بنبرة انتصار :

- هذا أمر سهل وبسيط .

تدخلت مادي قائلة :

- اسمعي ، لن يكون لدينا حينذاك المال الكافي لهم .

- يا عزيزتي ، لم أخبرك أنني أبيع الأدوات الرياضية ؟ إن فروعي  
تغطي أنحاء البلد وإذا كنت أعطي دروسا في السباحة فهذا فقط من  
أجل الاستمتاع .

تعجبت مادي بدهشة شديدة :

- أوه ! علامة لندن خاصة بك إذن ؟ يا إلهي .

قال مصححا قولها :

- أنا وشركائي .  
- في مثل هذه الحالة يمكننا إنجاب عشرة أطفال بدون أي مشاكل .  
مال أوليفير عليها ليقبلها وعندما انفجر الصاروخ الناري لم تعد  
النجوم تلمع بمفردها في السماء ...

نمت

www.elromancia.com